D. De 3782

ULB Halle 3/1
000 896 942

Sb.

Universitäts- und Landesbibliothek Sachsen-Anhalt
urn:nbn:de:gbv:3:5-79051/fragment/page=00000002

كتاب

رحلة بني هلال الى بلاد الغرب وحروبهم مع الزناتي خليفة . وما جرى لهم في تلك البلاد من الحوادث اللطيفة الظريفة . والحروب الهائلة المخيفة

طبع بنفقة الخواجات ابراهيم صادر واولاده اصحاب المكتبة العمومية في بيروت

وذلك سنة ١٨٨٥ مسيحية الموافق لسنة ١٣٠٢ هجرية

BIBLIOTHEK der Deutschen Morgenländischen Gesellschaft.

Aus THORBECKE'S Vermächtniss.

الكتاب الاول

من تغريبة بني هلال وهو يحتوي على محلة بلاد نجد العدية
وقصة مغامس مع ابنة عمه شاة الريم . وريادة امراء بني
هلال الى بلاد الغرب . وهم يحيي ومرعي ويونس
وابوزيد ليث الحرب . وحبس مرعي ويحيي
ويونس . عند الزناتي في تونس . ورجوع
ابوزيد الى الاطلال . واول
رحيل بني هلال

وهو الكتاب الخامس والعشرين من سيرة بني هلال

ثمنه خمسة غروش

بسم الله الحي الازلي

اما بعد حمد الله تعالى الاله القادر. فيقول الفقير ابراهيم بن يوسف صادر. انه لما كانت القصص والنوادر. موضوعة لافادة الناس وتسلية الخواطر. لاسيما قصة بني هلال. وما جرى لهم في سالف الاجيال من الوقائع والاهوال. التي تشيب الاطفال. شمرت ساعد العزيمة بجمعها وتصليحها وطبعها. مبتديًا بها من اولها حتى رحيلهم من بلاد نجد الى تونس الغرب واستخلاصهم تلك الممالك بالحرب وقتلهم الزناتي خليفة بعد حروب هائلة مخيفة فجأت سيرة ظريفة. مشتملة على نوادر واخبار لطيفة تلتذ بسماعها النفوس والاذان فاقول وبالله المستعان

انه لايخفى اهل المعارف والادب بان بلاد نجد كانت من اخصب بلاد العرب. كثيرة المياه والغدران. والسهول والوديان حتى كانت تذكرها شعراء الزمان. بالاشعار الحسان. وتفضلها على غيرها نظرًا لحسن هواها وكثرة خيرها وفيها كانت منازل بني هلال في سالف الاجيال وما زالت على رونقها الاول حتى تغير قطرها واضمحل وانقطع عنها الحشيش والنبات وعم البلا من جميع الجهات ولم يعد فيها شيئًا من المأكولات حتى صارت اهلها تاكل الحيوانات واستمرت المجاعة سبعة سنين وذلك بعد الهجرة باربع مائة سنه وستين ولما عظمت الاهوال واشتدت المجاعة على بني هلال اجتمعت منهم المشايخ والشبان وقصدوا مضرب السلطان حسن ابن سرحان.

فدخلوا وسلموا عليه وتمثلوا بين يديه وقالوا له عن فرد لسان اعلم
يامالك الزمان بان الجوع قد اشتد وانقطعت المأكولات من بلاد نجد
وان طال علينا الحال نموت من عدم وجود القوت فان لم تدارك
الامر في الحال انقرضت جميع بني هلال وفقدت المواشي والاموال
قال الراوي فلما سمع الامير حسن هذا الخطاب استعظم المصاب وكان
عنده جماعة من السادات الاماجيد والفرسان الصناديد منهم البطل
الهمام وليث الاجام الذي شاع ذكره بين الانام وفاق على اقرانه بطعن
الرمح وضرب الحسام ابوزيد فارس الصدام والامير دياب ابن غانم
البطل المقاوم والقاضي بدير ابن فايد السيد الماجد فاخذوا يتذاكرون
في هذا الشان نحو ساعة من الزمان فاستقر رايهم على الرحيل من تلك
الديار قبل حلول الدمار ثم قال السلطان حسن لاكابر القوم قوموا
بنا نتخفى ونتفقد احوال القبيلة في هذا اليوم فتنكروا في الحال حتى لا
يعرفهم احد من النساء والرجال وركبوا ظهور الجمال وطافوا في المضارب
والخيام مدة ثلاثة ايام حتى داروا على اهل القبيلة فوجدوهم في ورطة
وبيلة ولم يوجدوا من يدعوهم الى ضيافته لانه لم يكن عند احد عشا ليلة
واتفق انه في اليوم الرابع اشرفوا على سهل واسع وفيه عدة مضارب
وخيام وحواشي وخدام وكانت لاميرشهير اسمه مفرج ابن نصير وكان
المذكور واقفًا عند الابواب وهو في حالة الذل والاضطراب وعيناه
تذرف بالدموع من شدة الجوع فحيوه بالسلام ووقروه بالكلام وقالوا له
ايها السيد الكريم انقبل ضيوفًا قد قصدوك من ابعد اقليم لانك من

اكابر سادات العشيرة وافضالك بين الناس معروفة شهيرة فخجل من
حديثهم وكلامهم ولم يجد بدًّا من اكرامهم فقال اهلاً وسهلاً بالضيوف
فشرفوا محلكم ولكم الفضل والمعروف فاجابوه الى كلامه ونزلوا عن
ظهور الجمال ودخلوا الى خيامه وكان لمفرج زوجة يقال لها ميّ وكانت
من اجمل نساء الحي فقال لها اذهبي الان واقصدي بيت ابيك شيبان
لعلك تجدين شيئًا من انواع الطعام تأتين به الى ضيوفنا الكرام لانهم
قصدونا دون باقي العربان واتوا من ابعد مكان وليس عندنا شيئًا من
انواع الماكول واشار اليها يقول من فواد متبول

يقول الفتى المدعو الامير مفرج ❋ ايا ابنة عمي قد اتانا ضيوف
فقومي واسعي بالعشا لا تطولي ❋ فلون وجهي قد غدا مخطوف
فدوري على الجيران واستقرضي لنا ❋ وروحي الى اهلك بغير كلوف
والا فروحي لـــلامير مسلم ❋ فهو عمك صاحب المعروف
ايا خجلتي يازلتي ياندامتي ❋ اذا ما جئت في طعام للضيوف

قال الراوي فلما فرغ مفرج من كلامه اجابته زوجته على شعره
ونظامه

تقول فتات الحي ميّ التي شكت ❋ ونيران قلبي زايدات وقود
ايامير اهلي ما لهم قط نجده ❋ ولا عندهم يامير شيء موجود
وعمي مسلم بالمسا كان داير ❋ على الحي من ضيفه بقي مكمود
وجيراننا يبكون من فرط جوعهم ❋ واولادهم يامـــير بعد رقود
لكنني لست عن القصد عائقه ❋ واني اسير لنحوهم واعود

عسى ربي يفرج همومي جميعها * ويقضي حوايجها فانه المعبود

قال الراوي فلما فرغت من كلامها سارت الى بيت ابيها فلما راها ترحب فيها فاعلمته بالقصد والمرام وطلبت منه شيئًا من الطعام فقال والله يابنتي انه ما دخل الزاد لبيتنا منذ ثلاثة شهور واني خجلان منك فاعذرينا بالقصور فلما سمعت كلامه رجعت في الحال واعلمت زوجها بذلك المقال وانشدت تقول وعمر السامعين يطول

تقول فتاة الحي ميّ التي شكت * بدمع جرى فوق الخدود سجام
ايا ابن عمي استمع شرح قصتي * غدوت الى اهلي مع الاعمام
وجدت ابي والعم يبكوا بحسرة * واولادهم يبكون كالايتام
بكوا حين شافوني دخلت لحيهم * وما عندهم يامير قوت طعام
حلف والدي ان الضحين وغوره * ما دخل بيته من عهد عام
رجعت وقلبي قد غدا في حسرة * ونيران قلبي زايدات ضرام
فقم يا ابن عمي وثور على عامر * وبيع الى بنتك بدر التمام
بيع الثريا في عشا لضيوفنا * واشري لعرضك لا تكون ملام
واحسبها ماتت كما مات غيرها * وياما جرى يامير على الانام
وعشي ضيوفك يا امير وعزهم * ترى الضيوف لهم حرمه وزود اكرام
عسى لله اله العرش يفرج همنا * يزيل الغلا عنا مع الاوهام
فقالة فتاة الحي ميّ التي شكت * حرامٌ على عيني لذيذ منام

قال الراوي فلما فرغت من شعرها ونظامها · وفهم زوجها فحوى كلامها قال لها نعم الراي والتدبير ففومي الان اصلحي شانها والبسيها

ثياب الحرير حتى ادور في القبيلة جميعها وادلل عليها وابيعها فقامت
والبستها احسن الثياب وعطرتها بافخر الاطياب فتعجب الامير حسن
وابوزيد وذياب وقالوا له هذا امر غريب وحادث عجيب ولكنهم
صبروا وهم متحيرون حتى ينظروا ماذا يجرى ويكون واما الامير مفرج
فانه نهض في الحال وطاف بابنته في انحاء بني هلال وهو ينادي ويقول
يا اهل الفضل والمعروف من يشتري ابنتي الثريا بعشا اربعة ضيوف
وكان كل من ينظر اليها ويتأمل فيها يتحسر على جمالها وحسن معانيها
ويقول اذا اشتريناها ماذا نطعمها ونسقيها ولما لم يجد ابوها من يشتريها
رجع بها الى المضارب وكان ذلك عليه من اشد المصائب فقالت
زوجته علامك ما بعتها يا امير فقال لا يشتريها مني احد لا بقليل
ولا بكثير فقالت له اذهب بها الى عند السلطان حسن امير القبيلة
فانه يشتريها منك ولو بعشا ليلة فاخذها وسار وهو في قلق وافتكار
فعند ذلك خرج الامير حسن من المضرب وانفرد وسار الى صيوانه
بدون ان يراه من اهل الامير مفرج مع ابنته احد فلما دخل سلم عليه
وقبل الارض بين يديه واشار يقول من فواد متبول

يقول الفتى المدعو الامير مفرج * في قلب موجوعا وزاد افكار
ايا ابا علي اسمع كلامي وقصتي * واصغي لقولي وافهم الاخبار
ايا امير اتاني ضيوف جازوا محلنا * وداروا هلال كبارها وصغار
وجاوا لعندي يا امير اضفتهم * فهم اربع واظنهم امـــار
وما عندنا بالبيت شيء نقيتهم * ولا مرتع للدود والاطيار

اخذت الى بنتي ودرت نجوعهم * ودرت ميامنها ودرت يسار
فلم اجد من يشتريها منهم * واضيافي قد تركتهم بالدار
ايامير ساعدني واجبر بخاطري * يجيرك الهي من عذاب النار
ايامير نادي في هلال وعامر * وسير الى بلدان تكون عمار
فما عاد يا امير لنا في نجد عيشه * علانا بها بعد البياض صفار

فلما فرغ مفرج من هذا الشعر والنظام طيب الامير حسن خاطره واحترمه غاية الاحترام وقال وحق رب الانام انه يصعب عليّ ان اسمع مثل هذا الكلام لانه يجرح قلوب السامعين فلا حول ولا قوة الا بالله رب العالمين ثم امر له بقنطار من الطحين وان يرجع بابنته الى خيمته فشكره على ذلك الاحسان ورجع بالصبية وهو فرحان ولما ابتعد وغاب عن المضارب والقباب نهض الامير حسن بالعجل وتزيا بزيه الاول وركب مطيته وسار الى بيت مفرج فوصل قبله واعلم الامير ابوزيد بما فعله ولما وصل مفرج الى الخيام اعلم زوجته بما ناله من الانعام وبلوغ القصد والمرام ثم قال لها قومي الان واصنعي العشا حتى تاكل ضيوفنا ونتعشى فبادرت في الحال وعجنت قرصًا كبيرًا وخبزته بدون اهمال وقدمه مفرج الى الضيوف وهو فرحان ملهوف وقال بسم الله تفضلوا وكلوا ولا تواخذونا بالقصور فاني والله معذور فقال ابوزيد لو جلست معنا كنا في غنا عن هذا التعب والعنا لانه يوجد معي من الزاد ما يسد به رمق الفواد ثم مد يده الى الخرج وافرغه على سفرة الطعام فشكره مفرج على ذلك الاهتمام وجلس معهم بياسطهم

بالكلام ثم تركهم ورجع الى فراشه ونام واما هم فاقاموا الى طلوع النهار
فركبوا مطاياهم وقصدوا جوانب القفار ولما اقتربوا من وادي ثلامه
سمعوا صياحًا وضجيجا مثل يوم القيامه فتقدموا على الاثر ليكشفوا
حقيقة الخبر ولما صاروا في ذلك المكان وجدوا جمهورًا من الرجال
والشبان والنسا والصبيان وهم يصيحون من قلب موجوع من شدة
الجوع فتقدم السلطان حسن اليهم وقد شفق عليهم فطيب خاطرهم
بالكلام وفرق عليهم جوايز الانعام ثم سار الى المضارب والخيام
واستدعى اليه سادات القبيلة واكابر الجماعة وجعلوا يتفاوضون في
امر المجاعة فاتفق رايهم بوجه الاجمال على ان يرحلوا من تلك الاطلال
بالاهل والعيال وان يذهب ابو زيد الى بلاد الغرب وتلك الديار
فيجس الاحوال ويأتيهم بحقيقة الاخبار ثم يرحلون باولادهم وانقالهم الى
تلك الاقطار فقال ابو زيد للامير حسن كل ما استحسنتموه فهو
جميل وحسن غير انه لا خفاك اطال الله عمرك وبقاك ان المسافة
بعيدة طويلة فيلزم ان يكون معي جماعة من سادات القبيلة فقال
دياب هذا الامر من اسهل الامور فخذ معك من تريد من الجمهور
فقال ابو زيد متى طلع النهار يوفق الله ما يشاء ويختار ثم عاد الى
الخيام وهو في قلق واهتمام فقامت له زوجته على الاقدام وقالت له
بكلام الدلال مالي اراك معبس الوجه يا ابا الابطال فاعلمها بواقعة
الحال وكيف اتفق رايهم على ارساله الى تونس ولا يوجد من يعتمد
عليه ليأخذه معه على سبيل المعاون والمؤنس واني قد رهنت لساني

مع القوم على ان اذهب في ثاني يوم فقلت له انني ارشدك على حيلة
تتخلص بها من هذه السفرة الطويلة وهو انك عند الصباح تدخل
على الامير حسن وسادات القبيلة وتقول لهم انك مستعد ان تذهب
الى تونس بشرط ان يرسلوا معك الامير مرعي ويحيي ويونس فانهم
من ابناء الاعيان ولا تسمح بهم اهلهم ان يتغربوا عن الاوطان وبهذه
الوسيلة يكون عذرك واضح عند سادات القبيلة فاستصوب منها هذا
الكلام وفي ثاني الايام ذهب الى عند السلطان حسن فالتقاه بالاكرام
والتبجيل وقال له هل استعديت على الرحيل فقال انني في غاية
الاستعداد للذهاب الى تلك البلاد غير اني اريد ان يكون معي رفقا
واصحاب من سادات الاعراب لان المسافة بعيدة ومشقات الطريق
شديدة فقال له السلطان حسن خذ معك من تريد من الفرسان
الصناديد فقال اريد ان اخذ معي يونس ويحيي ومرعي لانهم يعاونوني
في الطريق عند كل شدة وضيق وبهم يحصل النجاح والتوفيق واعود
اليكم سريعًا بلا تعويق فاستعظم السلطان حسن هذا الطلب خوفًا
عليهم من العطب وكان يظن بان ابا زيد يطلب غيرهم من فرسان
العرب ولكنه سمح له اخيرًا ان ياخذهم معه الى تونس وفي الحال
احضر ولده مرعي واولاد اختيه يحيي ويونس ثم حدثهم بذلك الخبر
وفي اليوم الثالث تجهزوا للسفر فركبوا الخيول واعتقلوا بالسيوف
والنصول واخذوا معهم ما يلزمهم من المشروب والماكول وركب
السلطان حسن ابن سرحان في سادات القبيلة واكابر الاعيان وساروا

لوداعهم مدة ثلاثة ايام على التمام ولما عزموا على الرجوع الى الاطلال والربوع بكوا من فواد متبول واشار ابو زيد يودعهم ويقول

يقول ابو زيد الهلالي سلامي * ونيران قلبي زايدات اللهايب
وعيني من كثر البكا قل شوفها * جرى دمعها من فوق خدي سكايب
اسمع كلامي يا امير ابو علي * وكن لقولي فاهمًا ثم حاسب
غدونا بعون الله جل جلاله * نرود دروب الغرب ثم المغارب
وفي صحبتي مرعي ويحيي ويونس * ومن اجلهم ذا النجع باكي وناحب
وعليا عيوني ياعرب في حيكم * وصبرا وريا طويلات الذوايب
يابو على بالك عليهم من العدا * اذا هاجت الفرسان بين المضارب
اودعتكم لله ربي وخالقي * ومن يلتجي لله ما راح خائب

قال الراوي فلما فرغ الامير ابي زيد من شعره ونظامه وفهم السلطان حسن وباقي الامراء معاني كلامه تقدم السلطان حسن امام قواده وجعل يوصي ابو زيد باولاده ثم بكي وقال

يقول الفتى حسن الهلالي ابو على * بدمع جرى من فوق خدي سكائب
ونيران قلبي كلما قلت تنطفي * يزيد لها بين الضلوع لهائب
لفرقة مرعي صار قلبي ذائبا * واصبحت كالسكران للخمر شارب
ويحيي ويونس نور عيني وضوها * على بعدهم دمعات عيني سكائب
فارقتهم ما كان قصدي فراقهم * ولكن احوجتني لذاك مطالب
اياهل ترى مرعي اراه بناظري * وتزول ايام العنا والمتاعب
ايادهر ياغدار مالك غدرتني * ففارقت خلاني وكل الحبايب

اودعتكم لله ربي وخالقي ❊ ومن اودع الرحمن ما راح خائب
اوصيكم المزح لا تمزحونه ❊ فانه باكثر الاوقات صائب
واذا اردتم تدخلون مدينة ❊ فبونس تراه يشتري ويحاسب
واذا جادلتم عالما بطريقكم ❊ فمرعي على ذاك الجدال يجاوب
وابقوا ليحيي حارسا لجمالكم ❊ فانه سيحميها من كل الاعارب
ومن يم عليا فنور عيني ومهجتي ❊ وصبرا وريا اعز كل الحبايب
وهذه وصاياي احفظوها جميعها ❊ فان كلامي كله قول صايب
وهذه مقالات الامير ابو علي ❊ فقلبي داب من هول المصائب

قال الراوي فلما فرغ السلطان حسن من هذا الشعر والنظام بكي كل من كان حاضراً في ذلك المقام من السادات الكرام ثم تقدمت بعده امراته الست نافله اخت الامير دياب وهي في بكا وانتحاب وجعلت توصي الامير ابي زيد بولدها مرعى ثم انشدت تقول من فواد متبول

تقول فتات الحي نافلة النسا ❊ بكيت على الفرقة وما قد جرى لها
ابو زيد لا تترك لمرعي وحده ❊ فان غاب مرعي غاب عقلي وزالها
وحافظ على مرعي في الصباح وفي المسا ❊ وداريه من الاخطار ثم وبالها
فكم رحلة من نجد الى حد تونس ❊ فاعلمني حتي اعد ليالها
فياليت نجداً ارضها ما احملت ❊ ولا راح مرعي للمغارب جالها

قال الراوي فلما فرغت الاميرة نافلة من كلامها وفهمت الامراء فحوى شعرها ونظامها رثوا لحالها وعذروها على مقالها ثم تقدمت الاميرة

عمره اخت السلطان حسن امام الجموع وجعلت تودع ولدها يحيي
وتقول من فواد موجوع

تقول فتات الحي عمره التي شكت * وقطرات قلبي فوق خدي سكيبها
ابو زيد يحيي ياهلال بعرضكم * فلا غير يحيي وسط قلبي حبيبها
ابو زيد لا تبطي علينا بغيبتك * فارجع مع اولادنا من قريبها
ودعنكم بالله ربي وخالقي * ومن اودع الرحمن لا يخيبها

قال الراوي فلما فرغت الاميرة عمره من شعرها تقدمت الاميرة سروة اخت السلطان حسن وجعلت تودع ولدها يونس بهذه الابيات وتبكي على فراقه من الوطن

تقول فتات الحي سروة التي شكت * لفرقة وحيدي صار قلبي ذائب
وحيدي حديث السن ماذاق لوعة * وما شاف بعده من امور متاعب
يريد بلاد الغرب ينظر لاهلها * ويكشف اراضيها وتلك السباسب
ابو زيد يونس قط ما شاف ضيقه * ولا شاف ضربات القنا والقواضب
الا ياسلامي نور عيني اخذتها * وقلبي تراه في غيابه ذائب
ايارب يارحمن سهل طريقهم * واحفظهم ربي من كل النوائب

قال الراوي فلما فرغت الاميرة سروة من شعرها ونظامها وفهمت السادات فحوى كلامها تقدمت الامارا فودعوا اولادهم ثم رجعوا الى بلادهم وسار الامير ابو زيد يقطع البراري والقفار ويوصل سير الليل بسير النهار قاصداً تونس وتلك الديار واما السلطان حسن فانه عند وصوله الى الخيام جمع السادات الكرام وبعد ان تفاوضوا بالكلام طلبوا

من الله ان يمن عليهم بالسلامة وكان ذلك اليوم عندهم مثل يوم القيامة
ثم امر السلطان حسن بتغطية كراسيهم باربع شبكات من الحرير وان
لا يجلس عليها سيدٌ ولا امير وقال مرادي اكتب تاريخ هذه الزيادة .
حتى تبقى ذكرًا لاهل القبيلة وتقراها الناس على سبيل الافادة فاستدعى
الامير زيد ابن مانع وكان كاتم اسراره وكاتب الوقائع فلما حضر امره
بتقييد هذه الابيات في الدفتر وانشدها في ذلك المحضر

يقول الفتى حسن الهلالي ابوعلي ✻ فذكري قد غدا في الكون شائع
بالجود والمعروف والفضل والعطا ✻ والانس واللطف مع حفظ الشرائع
وامي شريفة من سلالة هاشم ✻ حرائر كرامٌ لابسات البراقع
وكنا بنجد في سرور وفي هنا ✻ وفي عز عيش كان والشمل جامع
فحلت اراضينا وكل بلادنا ✻ سبع سنين في فنا ومجاوع
فاول سنة اسودّت الارض كلها ✻ وثاني سنة زادت علينا الوجائع
وثالث سنة نشف الجريد من الفلا ✻ وصار الشجر على الارض ممدود واقع
ورابع سنة هربوا المطايا من القري ✻ وكل وحوش البر صارت تنازع
وخامس سنة انقرض النخل كله ✻ وعم الجوع في كل المواضع
وسادس سنة ذلت هلال وعامر ✻ وكيف العمل والراي في عام سابع
فارسلنا ابو زيد للغرب بالعجل ✻ ليذهب ويخبرنا عن تلك المرابع
فكانت سنة ستين مع اربعائة ✻ كتبها في الديوان زيد ابن مانع
فيارب يارحمن اجمع شملنا ✻ وكن لدعانا مستجيب وسامع

فلما انتهى السلطان حسن من هذا الشعر والنظام وسمعها السادات

الكرام استحسنوها غاية الاستحسان وسجلها زيد بن مانع في الديوان لتبقى
لهم ذكرًا على طول الزمان وكانت جميع النساء والبنات والامراء
والسادات تدعو لرب السموات في اكثر الاوقات وتطلب منه
نجاح ابو زيد في تونس ورجوعه سالمًا الى الديار مع مرعي ويحيى ويونس
هذا ما كان من امر القبيلة والسلطان حسن واما ما كان من ابي زيد
فانه بعد رحيله من الوطن ما زال مجدًا في المسير حتى اشرف على
بلاد حزوه والنير وهي بلاد كثيرة الخيرات واسعة الاراضي والجهات
وكان الحاكم عليها في ذلك الزمان ملك عظيم الشان صاحب ابطال
وفرسان اسمه الدبسي ابن مزيد فقصده ابو زيد دون كل احد
فدخل وسلم عليه وتمثل بين يديه ووقف مرعي ويحيى ويونس حواليه
وقال اطال الله عمرك ورفع مقامك وقدرك فانك وحيد العصر واولى
بالمديح والشكر فلما سمع منه هذا الكلام رد عليه السلام وقال له لقد
احسنت فمن اي بلاد انت قال نحن شعرا حجازيه نطوف في البريه
فنقصد الامراء الاجاويد ونمدح الملوك الاماجيد فنأخذ عطاهم وننقل
ثناهم وهذا هو دابنا في كل عام ايها الملك الهمام فقصدناك الان من
ابعد مكان لنمدحك دون غيرك ونشكر فضلك وجزيل خيرك
لاننا سمعنا بجودك وكرمك ومكارم اخلاقك وشيمك هذا الذي
اوجب قدومنا اليك وتمثلنا بين يديك ومن الاتفاق الغريب والامر
العجيب انّا مررنا على نجد وتلك الاوطان ومدحنا سلطانها الامير
حسن ابن سرحان فاجازنا بالجوائز السنية وخلع علينا الخلع الملوكية

وتلك البلاد الان في غاية الضيق من شدة المحل وعدم وجود القوت والدقيق ثم ان ابا زيد بعد هذا الخطاب عدّل الرباب واشار يمدح الدبيسي ويعلمه عن احوال نجد بهذا القصيد وعمر السامعين يزيد

قول وقد زاد غمي من الم الحشا * والنار في قلبي تزيد ضرام
من الهم والاحزان ياما اصابنا * وعدنا بحال الذل والاعدام
جفتنا منازلنا وكل بلادنا * فصرنا ندور علي ملوك عظام
اتينا الى نجد العدية وارضها * نزلنا بديوان الامير سلام
وديار والقاضي بدير ابن فايد * امارا اصائل من فروع كرام
وسلطانهم حسن الهلالي ابوعلي * كرام الايادي من ملوك فخام
يامير اسمع من كلامي وافتهم * وكن لقولي فاهم الانغام
واعلم يقينا ان نجدا اصبحت * بضيقة وشدة والامور عظام
وفيها الغلا والمحل يافخر الورى * فياذل من دهره اتى بسقام
وحاط الفنا بهم من كل جانب * وهدوا صواوين لهم وخيام
فودعنا الامارا يامالك جميعهم * وعدنا ندور على ملوك كرام
ركبنا مطايانا وجينا لقطركم * وجينا لنحوك نطلب الانعام
فجودوا علينا ياكرام بخيركم * فانتم اجل واعظم الانام
هذه مقالات الاديب علي نقا * فابقى بعيش هني يازينة الايام

قال الراوي فلما سمع الدبيسي هذا الشعر والنظام وما حواه من الشرح والكلام اكرمهم غاية الاكرام وقال لهم مرحبا بكم ياوجوه العرب واهل الفضل والادب فانكم تستحقون الانعام والاحسان لانكم قصدتموني

من ابعد مكان ثم انزلهم في احسن الخيام وقدم لهم المدام والطعام واقاموا
عنده عشرة ايام وكان ابوزيد في هذه المدة قد عرف احوال البلاد وما
فيها من العساكر والاجناد وميز مراكزها واراضيها وجميع نواحيها وبعد
ذلك ودع الدبيسي مزيد ورحل من ذلك البلد وهو قاصد بلاد المغرب
ومدينة تونس وفي صحبته مرعي ويحيي ويونس وقد جدوا بالمسير وسابقوا
بمسيرهم الطير الذي يطير وما زالوا يقطعوا البراري والاكام مدة تسعة ايام
على التمام وكانوا يستترون بالنهار ويقطعون الفلاة تحت ظلام الاعتكار
حتى وصلوا الى بلاد العمق وهي بلاد الامير مغامس وكان وصولهم اليها في
الليل الدامس ولما اقتربوا من الابيات سمعوا اصوات المولدات ودق
طبول وزمور وامور تدل على فرح وسرور فقال ابوزيد لاصحابه ابشروا
بالخير بعد هذا التعب والضير فان اهل الحي مشتغلون بعرس لهم ومن
الصواب ان نقصدهم ونصرف هذه الليلة عندهم ثم انهم قصدوا المضارب
والخيام تحت ستور الظلام قال الراوي وكان السبب في ذلك انه كان
أخان اميران من اكابر الاعيان اسم الواحد عامر والثاني ابو الجود وكانا
موصوفين بالكرم والجود وكان للامير عامر ولد اسمه مغامس جميل المنظر
كانه القمر فصيح الكلام معتدل القوام وكان لابي الجود بنت اسمها شاة
الريم كانت في الحسن على جانب عظيم لا يوجد مثلها في بنات الاقاليم
فصيحة اللسان وبها كان يضرب المثل في ذلك الزمان فاتفق ابو الجود
على انه يزوجها بمغامس ابن اخيه لانه كان يحبه ويهاديه وهكذا تم
الاتفاق وصار تقديم المهر والصداق وكان لهذين الاميرين عدو من

ملوك العربان يقال له نبهان فغار بجنوده ذات يوم على هولاء القوم .
فالتقاه ابو الجود والامير عامر بالابطال والعساكر وجرت بينهم حروب
تشيب الاطفال في المهود انجرح فيها الامير عامر وقتل ابو الجود وكان
للامير عامر عبد من الشجعان الصناديد يقال له سعيد وكان يرعى الجمال
بين الروابي والتلال فلما رأى تلك الحال وما حل بمولاه من الوبال ركب
ظهر الحصان وهجم على الملك نبهان وتبعته الابطال والفرسان بقلوب
اقوى من الصوان ولم تكن غير ساعة من الزمان حتى استطال عليه وطعنه
بالرمح بين ثديه فالقاه قتيلاً على الارض فوقع يختبط بعضه ببعض . ثم
انصب على جيش الاعداء فهزمها في تلك البيداء وبعد ذلك رجع الى
القبيلة بغنائم جزيلة فالتقته النساء بالنشائد والمدح الزائد وشكرته الرجال
على تلك الفعال واكرمه مولاه غاية الاكرام ورفع منزلته الى اعلى مقام وفي
اليوم الثالث اشتد على الامير عامر الالم حتى صار في حالة الخطر والعدم
فاستقر رايه على ان يقيم عبده سعيد مكانه لبينما يكبر ابنه مغامس ويرتفع
بين الناس قدره وشانه فجمع اكابر الديوان وقواد الفرسان واعلمهم بذلك
الشان ثم احضر العبد سعيد وقال له بحضور السادات الاماجيد . اعلم
ايها الفارس الصنديد باني قد قمتك مكاني ملكاً على هذا الاقليم لبينما
يكبر ابني مغامس فتزوجه بابنة عمه شاة الريم ويصير هو الملك والسلطان
وتكون انت له من جملة الوزراء والاعوان ثم انه بعد هذا الكلام اشار يقول
وعمر السامعين يزيد ويطول

يقول الفتى عامر على ما جرى له ❊ فقلبي قد اكتوى كي المجامر

مريضٌ حزينٌ موجع القلب والحشا * اذا نامت الفرسان تلقاه ساهر
سبعين عامًا عشتها في مسرةٍ * وكنت على كل السلاطين قادر
اتاني مغامس بعد شابت عوارضي * ويوم اتاني قد عقرت العقائر
اتوني جموع البدو من كل جانب * ولا واحد الا وقد جاء زائر
الا باكرام الحي وافت منيتي * وقد صرت من اهل المقابر
ايا قوم من بعدي سعيد اميركم * وسلطان فيكم على كل العشائر
بكيت على ابني مغامس ويتمه * وفقدان خيلي والغنم والاباعر
الا ياسعيد العبد اسمع مقالتي * وافهم كلامي انت بالدهر خابر
ربي مغامس ابن سيدك ودلله * واعطيه شاة الريم ان صار قادر
مغامس حديث السن ماذاق لوعةً * ولاشاف ضرب المرهفات البواتر

قال الراوي فلما انتهى الامير عامر من هذا الكلام بكي كل من كان حاضرًا من السادات الكرام وقال سعيد الى مولاه اني سافعل ما امرت. لاني عبدك وفي نعمتك قد انتشيت وكبرت ثم تفرقت العرب الى المضارب والخيام وبعد ثلاثة ايام شرب عامر كاس الحمام فغسلوه ودفنوه بالوقار والاحترام وبكي عليه الخاص والعام وفي اليوم الثاني جلس سعيد على الكرسي مكان مولاه الامير عامر واطاعته الاكابر والاصاغر وقواد الجيوش والعساكر فكان يحكم في القبيلة ويفعل ما يريد ولا يعترضه احد من السادات ولا العبيد حتى تمكن غاية التمكين وصار من جملة الملوك والسلاطين فلما اشتهر امره وانتشر بين الناس ذكره داخله الطمع على اختلاس المملكة والقاء ابن مولاه مغامس في مهاوى التهلكة فما كان منه

الا انه جمع الاعيان والابطال والفرسان وقال لهم على روس الاشهاد اعلموا ايها السادة الامجاد قد صممت الان على طرد مغامس ابن سيدكم من الاوطان وارساله الى ابعد مكان فلا عدتم من الان وصاعدًا تعاملوه بشيء مهما كان وكل من خالف كلامي ولم يمتثل الى احكامي قطعت راسه واخمدت انفاسه فماذا تقولون وماذا تجاوبون فقالوا سمعًا والف طاعة. فما عدنا نعامله ولا نتكلم معه من هذه الساعة لانك ملكنا وسلطاننا وحامي بلادنا واوطاننا فبينما هم في الحديث والكلام واذا بالامير مغامس قد دخل عليهم فحياهم بالسلام فلم يجسر احد ان يرد عليه الجواب خوفًا من القصاص والعقاب فتأثر من ذلك الامر واحترق قلبه بلهيب الجمر وعلم ان العبد سعيد مراده ان يختلس منه الامرية ويتملك على القبيلة بالقوة الجبرية فارتد راجعًا على الاثر واعلم امه بذلك الخبر ثم بكا وتنهد. وبعد ذلك انشد

يقول اليتيم الذي ضنا البين حالته ❊ فدمع عيني على الخدود قناه
فقلبي كواه البين والهم والاسى ❊ جفاني زماني والزمان شفاه
اذ رحت للديوان اجلس كعادتي ❊ رأيت سعيدًا والعرب بجداه
فاعلم جميع الحاضرين بصحبته ❊ كلامًا شديدًا قاسيًا فحواه
مغامس لا تلقوه بالعز والهنا ❊ ولا تجلسوا ولا تتكلموا واياه
فسلمت ما ردوا سلامي جميعهم ❊ وقد عدت في ضنك وعقلي تاه

قال الراوي فلما انتهى مغامس من شعره ومقاله رثت امه لحاله وقالت الله يكون معنا يا ولدي فاني خائفة من غدر هذا العبد الردي.

فانه نكر الجميل والمعروف وبادانا بالشر والمتلوف بعد ان كان راعي
جمالنا وعبدنا وخدامنا فما انتهت من هذا الكلام حتى اقبل عليها من
عنده بعض الخدام يقول لها ان تذهب بابنها من تلك الديار قبل ان
يحل بها الهلاك والدمار وقد ارسل اليك هذه الناقة الجربانة وهذه الشاة
والشقة الممزقة على سبيل الاحسان والصدقة فاذهبي في الحال قبل حلول
الوبال فبكت ام مغامس من هذا الكلام وتذكرت ايام زوجها وما كانت
فيه من العز والانعام وعلو الجاه ورفعة المقام ولكنها اجابت الامر بالسمع
والطاعة ورحلت بابنها من تلك الساعة الى ان اشرفت الى وادٍ عميق
بقرب الطريق فاقامت هي وولدها هناك وهما في حالة الخوف والارتباك
ثم نصبا لهما خيمة من القش واغصان الشجر لتوقيهما من حرارة الشمس
وضوا القمر وجلسا في ذلك المكان تحت مشيئة الرحمن قال الراوي هذا ما
كان من امرهما واما سعيد العبد الخائن اللئيم فانه كان قد ارسل
يطلب شاة الريم وامراها ان تجهزها تلك الليلة وتصلح حالها حتى يدخل
عليها بحسنها وجمالها فلما سمعت شاة الريم ذلك الكلام كان عليها اشد
من ضرب الحسام وجعلت تبكي مع امها على فقد مغامس ابن عمها لانها
كانت تحبه · وترغب قربه · ولما زاد عليها الحال انشدت تقول من
فواد متبول

تقول شاة الريم من قلبٍ حزين * ودمع عيني على خدي غزير
كيف حالي واحتيالي يا عجوز * من هموم الدهر يا بنت الامير
من بعد ابي وعمي قبله * صار راعينا على راس السرير

يريد ياخذني سريعاً عاجلاً ❋ فوجهه اسود وانا بدرٌ منير
وابن عمي طـــاردينه للخلا ❋ هو وامه في نكد ذاقوا النكير
مـــا له مسعف ولا مـــعين ❋ ولا مال وهو شـــاب صغير
يارب اعدمني سعيد ابن الخنا ❋ واكتب نصيبي في مغامس يانصير

قال الراوي فلما انتهت من كلامها وفهمت امها فحوى شعرها ونظامها قالت لها اعلمي ياولدي ان الصبر مفتاح الفرج ولا بد ان نجد لنا لهذا الضيق من خلاص ومخرج فاصبري على حكم الله وعلى ما قدره وقضاه وهذا العبد سعيد فانه جبار عنيد وشيطان مريد وقد ذلت له الفرسان الصناديد وابن عمك مغامس فقير الحال ليس له مال ولا رجال وان خالفنا له امرًا اخذك غصبًا وقهرًا فمن الواجب ان نسمع كلامه ونمتثل اوامره واحكامه فلما سمعت شاة الريم من امها هذا الكلام صبرت على احكام رب الانام وكان العبد سعيد قد صنع تلك الليلة وليمة عظيمة لها قدر وقيمة جمع فيها بعض الاعيان واكابر الديوان فدقت الطبول ونفخت الزمور وقام في القبيلة الفرح والسرور ودقت المولدات بالدفوف ولعبت الفرسان بالرماح والسيوف فلما سمع مغامس اصوات الطبول وصهيل الخيول قصد الحي تحت ظلام الليل فعندمـــا وقف على حقيقة الخبر طار من عينيه الشرر من شدة الوجد والغرام. وزواج ابنة عمه بدر التمام بذلك العبد ابن اللئام فرجع في الحال واعلم امه بواقعة الاحوال فبكت شفقة عليه وتذللت بين يديه وجعلت تتلطف بخاطره وتقول الله كريم فلا بد ان تكون من نصيبك شاة الريم

ثم جعلت تتوسل الى الله تعالى وتطلب منه المعونة والنجده والخلاص من تلك الشدة

قال الراوي وكان بالامر المقدر وصول ابو زيد تلك الليلة الى الحلة كما تقدم الخبر وسمع اصوات الطبول والزمور والافراح والسرور فتقدم طلب الحي بمن معه من الرفاق ورجعنا الآن الى حديث الغلام والسيرة من غريب الاتفاق المستحق التسطير في الاوراق انهم مروا على ذلك الواد فوجدوا مغامس وامه وهما في حالة الانفراد وكان مغامس يبكي ويتحسر ويستغيث برب البشر ويقول يا الله يارحمن ارسل لنا ابو زيد فارس الميدان ليخلصنا من هذا الضيق العظيم ويجمع شملي بابنة عمي شاة الريم ومن شدة ما اعتراه عول ان يدفن نفسه وهو في الحياه

قال الراوي وما اتم كلامه حتى صار ابو زيد امامه فسمعه يناديه ويستغيث فيه فتعجب من هذا الكلام وقال وحق رب الانام ان هذا من اعجب العجب لم يسمع بمثله بين العرب ثم تقدم اليه وسلم عليه وقال له من تكون ايها الانسان وما هو سبب اقامتك في هذا المكان ومن اين لك معرفة بابي زيد فارس الفرسان حتى تستغيث به وتلج في طلبه فحدثه طرفًا من قصته واعلمه بحاله وكيف ان اباه قد اوصاه انه اذا وقع في شدة يطلب ابا زيد مساعدة ونجدة فيأتيه الفرج بعد الضيق ويحصل على النجاح والتوفيق ثم قال له الغلام وانتم من تكونوا ايها السادات الكرام فقال ابو زيد انا من الشعراء وعادتنا مدح الملوك والامراء وقد امسى علينا الظلام ولا نعلم الى من نلتجي من الانام فقال تفضلوا وشرفونا

ايها الضيوف ولكم الفضل والمعروف فنزلوا عن ظهور مطاياهم ودخلوا الى الخيمة وهم في حيرة عظيمة فاستقبلهم مغامس بالاحترام والوقار واضرم لهم النار ثم ذبح لهم الناقة في الحال ولم يكن عنده غيرها من النوق والجمال وجعل يبكي ويبدي النحيب ويترحب بهم غاية الترحيب وكانت امه قد طبخت الناقة بالعجل فقدمها لهم وقال كلوا واعذرونا ولا تواخذونا فاكلوا وهم يتعجبون من قصة الغلام وفرط كرمه وادبه وشيمه ثم أعلمهم بواقعة حاله على التمام والكمال وما جرى عليها من عبدها سعيد الخائن المحتال فاستعظم ابو زيد الامر وراه من غرائب الدهر وصم على مساعدة الغلام وقتل سعيد ابن اللئام وبعد العشا جعل ابو زيد يدق على الرباب وينشد الاشعار ويسلي الغلام بالنوادر والاخبار ويهون عليه الامور الكبار وما زال على تلك الحال حتى راق مغامس بعد ما كان آيس واتفق بينما هم في انشراح وسرور وافراح ان احد رعيان سعيد العبد قد فقد له بعيراً في تلك الليلة فذهب يدور عليه خارج القبيلة فجاءت طريقه على تلك الوادي الذي نازل فيها مغامس فسمع صوت الرباب وكلام فصيح وخطاب فرجع على الاثر واعلم سعيد بما سمع ونظر ثم انشده هذه الابيات امام الامراء والسادات

مقالاة الفتى المدعو عميره ❊ الا يامير قلبي فيه هادس
انا قد ضاع مني بعير فاطر ❊ وقلبي لاجله يامير هاجس
وقد طفت الجبال مع الروابي ❊ فجا دربي على خيمة مغامس
وفيها النار تشعل ياملكنا ❊ وحول النار شعار جوالس

عليهم هيبة تزهو بحسن * وملبوس الثياب من الاطالس
وفيهم عبد في يده ربابه * ينقلها على رابع وخامس
فلو طفنا البلاد لما راينا * نظير صفاتهم ايضاً اشاوس
الا يامير احضرهم لعندك * واسمع قولهم يابو الفوارس
هنيئاً للذي يسمع غناهم * ومثلك من يكون لهم مجالس
اذا طاوعتني ارسل وراهم * واحضرهم الى اعلى المجالس
فان خالفتني يامير تندم * وشاة الريم ياخذها مغامس
مقالات الفتى المدعو عميره * فقلبي من بحور اللهو غاطس

قال الراوي فلما سمع سعيد هذا الشعر والنظام · وفهم فحوى الشرح والكلام. علم ان القوم من الشعراء. الذين يدورون على الملوك والامراء. في طلب الفضة والذهب. والمعاش والمكسب. فحدثته نفسه ان يستدعيهم لاتمام الافراح. وزيادة البسط والانشراح · فارسل في طلبهم جماعة من السودان. لياتوا بهم من ذلك المكان. منهم مرجان وسلمان وابو علوان. وفسوان وضريطان وابو حمدان فساروا الى ان وصلوا الى امام ابو زيد فنهض لهم على الاقدام وقال اهلا وسهلاً باولاد الاعمام الذين يشربون البوظة ويا كلون الطرطوزه فشكروه على هذا الاكرام الشديد. وقالوا قد بلغ خبر قدومكم مولانا السلطان سعيد. فارسلنا لنحضركم اليه فى الحال. وابشروا بالانعام والاموال. فودعوا العجوز وساروا مع العبيد. قاصدين السلطان سعيد. وكانوا حاملين في ايديهم الرباب · ومتقلدين بالسيوف من تحت الثياب. حتي وصلوا الى المضارب والقباب.

فدخلوا على سعيد . فوجدوا عنده جماعة من السادات الاماجيد . وهو متكي على ظهره كانه فحل الجاموس . ومنتظر قدوم العروس . فسلم ابوزيد عليه ووقف بين يديه . فلم يرد جواب كلامه . ولا اكترث بكلامه . ولكنه رفع له رجليه . وبحلق في وجهه عينيه . وكان سعيد بدون لباس . فانكشفت عورته امام الناس . فتاثر ابوزيد من فعله . وقد صمم على قتله . ولكنه صبر الى النهاية . وكان له في ذلك غاية . ثم التفت سعيد على ابي زيد واصحابه . وقال لهم في خطابه . انني رايت منكم العجب . كيف انكم تكونون من شعراء العرب . واصحاب الفضل والادب . وتتركون زيارة السلطان . وتقصدون عجوزاً الا قدر لها ولا شان . فقال ابوزيد اطال الله عمرك . وزاد في مقامك وقدرك . اننا ما اتينا الى هذه القبيلة الا لنمدح جنابك . ونتشرف بساحة اعتابك . غيران وصولنا كان في الظلام . وكنا قاصدين ان نزور حضرتك في ثاني الايام . الى ان ارسلت في طلبنا الان . مع الغلمان فحضرنا حالاً امتثالاً لامرك العالي . فلا زالت ايامك في سرور وافراح على طول الايام والليالي . فلما انتهى ابوزيد من مقاله . جلس على يمينه وجلس مرعي ويحيى ويونس عن شماله . وكان عند جلوسه الفى ساعده على فخذ سعيد . بقوة وعزم شديد . فتالم سعيد من تلك الحركة . وقال لا مرحبا فيك ولا حلت في قدومك علينا البركة . قاتل الله اباك وامك . فما اثقل دمك . فقال ابوزيد لا تواخذنا فانا ضيوفك . كثر الله خيرك ومعروفك . فقال هاتوا ما عندكم الان من الاشعار الحسان . فاذا كانت معانيها جميلة . اجزتكم بالعطايا والتحف الجزيلة .

فقال ابو زيد اسمع كلامي. وتامل في شعري ونظامي. ثم انشد هذه الابيات. بحضور باقي السادات

يقول الحجازي والحجازي سلامي * ارى الدهر يغدر بالملوك الافاضل
ياحيف اهل العز ولى زمانهم * ومن بعدهم حكمت اولاد الارازل
يالهف قلبي على ملوك قد مضوا * حكم بعدهم في الناس خدام عاطل
انا ناصر الايتام بالسيف والقنا * وطعن الاعادي فوق ظهر الاصايل
انا منصف المظلوم جابر كسره * انا فارس الفرسان مردي الحجافل
انا ازوج الزينات لابناء عمهم * وابعد عنهم كل خبيث مماطل
فلا خير في عبد علا فوق سيده * ولاخير في من يغدر اهل الفضائل
فلا تحسب ان الدهر يصفى لظالم * ولا بد ما اريك في طعن الذوابل

قال الراوي فلما انتهى ابو زيد من هذا القصيد. اغتاظ منه سعيد. وقال له ما هذا الكلام الغليظ الشديد. يا اخس العبيد. فلولا سواد لونك كنت قطعت راسك. واخمدت انفاسك. فاجلس مكانك. واكفينا شرك واسانك. ودع غيرك يطربنا بالكلام. يابن اللئام. فعندذلك التفت مرعي اليه. وقال له لا تواخذه ولا تغضب عليه. فانه من جملة العبيد. ايها الملك السعيد. الذين لا يعرفون مقام الملوك. ولا لهم خبرة بحسن التصرف والسلوك. فان كنت تريد. غنيتك الان بقصيد. يستحق الانعام. ومزيد الاكرام. فتزيل اكدارك. وتبتهج افكارك. فقال سعيد هات ما عندك فاشار مرعي بقول وعمر السامعين يزيد ويطول

قال الفتى مرعي بقلب اشتكى * عميت عيون الميرمن كثر البكا

هذا كلامي فيك يامير المـــلا ❋ يامن على اعلى الوسايد اتكى
انت السعيد وزال سعدك عاجلا ❋ كيف يامليون تاخذ ستكـــا
اني مدحتك في بيوت جيدة ❋ والسيف من وسط القراب تحركا
اسمع كلامي ياسعيد وافتهم ❋ ما عـــاد لك ملجا ولا مسلكا
لا بد ما ادعوا مغامس ياسعيد ❋ ياخذ لشاة الريم ويرغم انفكـــا

قال الراوي فلما فرغ مرعي من كلامه. وشعره ونظامه. اغتاظ سعيد الغيظ الشديد. وصاح على الجلاد ان يقطع راسه. ويخمد انفاسه. فعند ذلك اعتذر اليه يحيي امام الحاضرين. وكبار السادات والمقدمين. وقال له لا تواخذهم من هذا القبيل ايها الملك الجليل. فانهم اناس بهاليل. لا يعرفون مضمون الكلام. ولا يميزون بين النور والظلام. ولكن ان اردت الان. فانا امدحك ببيوت حسان. ما سمعها احد الا وزال عنه الغم والنكد. لانها تشرح الصدور. وتجلب الافراح والسرور. فقال هات ما عندك. لعن الله اباك وجدك. فاشار يحيي يقول. وعمر السامعين يطول

قال الفتى يحيي على شرح ما جرى ❋ فلي قلب زاد اليوم بالاوجاع
وسيفي حلف ما صاح يوم كريهة ❋ الا الى روس العدا قطـــاع
ركبت طريق الجود طفلاً عن صغر ❋ على اشقر عالي طويل الباع
ربيت على يد الامير ابو علي ❋ خالي وان يوم اللقا نفـــاع
فمنا ابو زيد الهلالي ســـلامه ❋ وكم كل عاصي الى سلامه طاع
الا ياسعيد الدهر خوان بايق ❋ فكم قد هدم من حصون وقلاع

ويا ما هنا من كل قرم غشمشم * واخرب قصور الظالمين بساع
ياحيف على الخيل الجياد من الردى * على ظهرها سود الوجوه شناع
ياحيف شاة الريم تحظى بخائن * ردي اللبن اسود ذميم طباع
ترى الدهر اذرى بالملوك الذي مضوا * وخلا الارازل صايرين رقاع
اياعبد تحكم في مغامس وتطرده * وامه حزينة بينها بالقـــاع
وما كنت ياغدار ترثي لحالهم * وهل يوم تحكم على جميع بساع
ولا بد شاة الريم تاخذ مغامس * وانت تقاسي همومها واوجاع
وخليك ياطنجير مطروح على الثرى * وتاكل عظامك ياسعيد سباع
لانك غدرت بحق سيدك ختنه * وتركته في زلـــة ونزاع
مقال الفتى يحيي مخاصم من طغا * فلا بد منا ما تشوف صـــداع

قال الراوي فلما فرغ يحيي من شعره ونظامه. وفهم سعيد فحوى كلامه. زاد عليه الحال. واستعظم ذلك المقال. وصاح على الجلاد يقطع راس الثلاثة الشعراء. قصاصًا لهم على ذلك الافترا. فنهض يونس على الاقدام. واعتذر اليه بالكلام. وقال له لاخفاك ياملك الزمان. ان هولاء الشعراء من اوباش العربان. لانهم تكلموا بحضرتك بما لايليق من الكلام. فلا عتب عليهم ولا ملام. فان اردت الان. انشدتك ابياتًا ما سمعها ملك ولا سلطان. الا استحسنها غاية الاستحسان. فانها تشرح بالك. وتقطع اوصالك. وتلعن ابو سبالك. فلما سمع الكلام. وكان سكرانًا من كثر شرب المدام. لايفرق بين النور والظلام. فقال بارك الله فيك. انشدني وخذ مني ما يرضيك. فان صدري قد ضاق. وقلبي يحدثني بالفراق. فانشد يونس يقول.

وعمر السامعين يزيد ويطول

قال يونس من فواد التهب * والدمع مني قد غدا مطالها
هذا كلامي فيك يامير الملا * الله يعطي نفسنا امالها
اني امير بالحروب مجربا * مني تشيب من الحروب ابطالها
اني امير مثل صارم في اللقا * اطعن بيمنها وشمالها
ما عدت تنجو ياسعيد العبد لا * والروح منك في حسامي زالها
عندك فرس بيضا قبالك واقفه * فاذا مشت رن القدم خلخالها
حسنا مليحه ما رائنا مثلها * في لطفها وبظرفها وكمالها
طول الرديني كانها عود القنا * فاقت على كل النسا بجمالها
الشعر منها مثل ليل اسود * وعيونها مثل الغزال نخالها
يامحسن الخلخال فوق كعابها * الله يرحم عمها مع خالها
اياك تقربها وتاتي صوبها * ترديك في ضرب بجوز نعالها
فكان روحك ياسعيد بيدها * واما مغامس بالوري خيالها
هي بنت عمه ما يريد خلافها * حاشا لمثلك ان يشوف خيالها
ارجع عن الرينات واسمع كلمتي * اني نصوحك لاتكون هزالها
قال الفتى يونس اسمع ياسعيد * ابوزيد قبلك كم ملوك ازالها

قال الراوي فلما فرغ يونس من شعره ونظامه. وفهم سعيد فحوى شعره وكلامه. عظم عليه الامر. وتوقد قلبه بلهيب الجمر. وقال قدا حضرناكم يالئام. حتى تطربونا بالشعر والنظام. وتاخذوا مني الجوائز والانعام. ولكنكم اساتم الادب. وخرجتم عن سنة العرب. وتكلمتم بما لايليق قدامي. ولا اعتبرتم

قدري ولا مقامي . فلا بد من قتلكم على هذا الاخراق . وكلام الزور والنفاق .
فلما انتهى من هذا المقال . التقاه ابو زيد مثل سبع الاجام . وضربه على راسه
بالحسام . فقتله في الحال . واورثه الخبال . ثم انه هجم على باقي العبيد . وتبعه
يحيي ومرعي ويونس الفارس الصنديد . ولم تكن الا لحظة من الزمان . حتى
انزلوا بهم الهوان . ومسحوهم بالسيف الهندوان . وبعد ذلك جمع ابو زيد
سادات القبيلة والوجوه الكبار . وقال لهم ها قد قتلت هذا العبد الغدار
وجماعته الاشرار . لانهم طغوا وتجبروا . فماتوا وانقبروا . فلا رحم الله ذاك
العبد اللئيم والوغد الذميم . لان مراده كان استخلاص المملكة من هذا
مغامس اليتيم . واخذ ابنة عمه شاة الريم . فمرادي الان ان اقيمه سلطانًا
مكان ابيه . فما هو رايكم وماذا تقولوا فيه . قالوا هو ابن مولانا وقد رضيناه
علينا اميرًا وسلطانًا ونحن جميعنا عبيده وطوع يديه . ولا نخل باو واحنا
عليه . فعند ذلك ركب ابو زيد الحصان . وركبت معه الابطال والفرسان .
والسادات والاعيان . وقصدوا الامير مغامس الى ذلك المكان ومعهم
الطبول والدفوف وهم سايرين صفوف صفوف حتى وصلوا اليه فسلموا
عليه وتمثلوا بين يديه واعلمه ابو زيد بواقعة الحال وكيف انه قتل
ذلك العبد المحتال ففرح مغامس بهذا الخبر وزال عنه القلق والضجر .
ثم احضروه الى الحلة مع امه بموكب عظيم وزفوا عليه ابنة عمه شاة الريم
واجلسوه على الكرسي مكان ابيه وصارت العرب تمدحه وتهاديه لانه
كان ميتًا فعاش وتخلص من ايدي اوليك العبيد الاوباش فشكر
ابو زيد ومرعي ويحيي ويونس على ذلك الصنيع وتعجب من ذلك الاتفاق

الذي لم يسمع مثله في التواريخ والمجاميع واراد ان يمنعهم عن السفر الى
تونس وان يبقوا عنده فيزيد فرحه بهم ويستانس فقال ابو زيد لابد
عن السفر وها انت قد امنت من الخطر واقام ابو زيد في الحلة ثلثة
ايام في فرح وسرور وغبطة وحبور وبعد ذلك ودع الامير مغامس
وسار مع يحيي ومرعي ويونس قاصدين مدينة تونس وهم يجدون في
قطع الراوابي والتلال املا ببلوغ الامال والرجوع الى الاطلال وما زالوا
على تلك الحال مدة خمسة ايام على التمام والكمال حتى وصلوا الى مكة
المشرفة وقلوبهم على زيارة قبر النبي متلهفة وبعد ان زاروا القبر والمقام
وادوا واجبات الوقار والاحترام اجتمعوا في شكر الشريف ابن هاشم
المنعوت بالشرف والمكارم وهو زوج الجازية اخت السلطان حسن
واعلموه السبب في خروجهم من الوطن فترحب بهم واكرمهم غاية
الاكرام واقاموا عنده مدة ستة ايام وكانت الجازية من افرح اهل الدنيا
بمشاهدة ابي زيد ويونس ومرعي ويحيي ثم انهم ركبوا وساروا ولو كان
لهم اجنحة لطاروا وما زالوا يقطعون البراري والاكام حتى اشرفوا الى بلاد
الاعجام بعد عشرة ايام فدخلوا اليها في النهار وداروا في اسواقهم حتى
اخبروها غاية الاخبار وعرفوا عدد اهلها وسكانها واسم ملكها وسلطانها
ثم دخلوا الى الديوان ومدحوا الملوك بنفائس الاشعار الحسان وبعد
ذلك رحلوا من تلك الديار وجدوا في قطع القفار واوصلوا سير
الليل بسير النهار حتى وصلوا الى بلاد التركمان فدخلوا على ملكها
الغضبان ومدحوه بالقصايد الحسان فاكرمهم غاية الاكرام واجازهم

بنفائس الانعام ومن هناك ركبوا ظهور الخيول وجدوا في قطع البراري والسهول الى ان وصلوا الى عند الخفاجي عامر حاكم بلاد العراق وتلك البراري والافاق وكان رجلاً كريم الاخلاق فدخلوا وسلموا عليه وتمثلوا بين يديه فرّد عليهم السلام واجلسهم بجانبه في صدر المقام واكرمهم غاية الاكرام ثم ان ابوزيد اخذ يمدح الخفاجي عامر بهذه الابيات على مسامع الامرا والسادات

يقول الاديب قصيد من الم الحشا * وعقلي تراه قد غدا محتار
وعيني من كثر البكا قل شوفها * جرى دمعها فوق الخدود غزار
بكيت وبكاني زماني وهانني * واصبحت عريانًا بغير ستار
الا ياخفاجي استمع شرح قصتي * واصغى الى قولي مع الاخبار
جفتنا اراضينا من المحل والغلا * سبعة سنين تقصف الاعمار
اكلنا الضفادع والجرادين كلها * وصرنا على وحش الفلا نندار
فصارت اكابرنا وكل قرومنا * يبكوا ودمعات العيون غزار
وصرنا ندور على الملوك جميعهم * ونقصد اجاويد لنا واخيار
سمعنا بجودك انت يافخر الملا * مربي اليتامى في سنين عشار
فجينا لنحوك نستظل بظلك * يافارس الفرسان يامغوار
فهذه ترى احوالنا ومقالنا * ودمعي جرى فوق الخدود غزار

قال الراوي فلما انتهى ابوزيد من شعره ونظامه. وفهم الخفاجي عامر فحوى كلامه. استحسنه غاية الاستحسان. واجازهم بالجوايز الحسان. ثم قدم لهم الطعام. فشكروه على هذا الاهتمام. واقاموا عنده ثلاثة

ايام . في عز واكرام . ثم ودعوه وجدوا في قطع البراري والاكام . وما زالوا يقطعون الصحراء . حتى وصلوا بعد عشرة ايام الى حلب الشهباء . وكانوا قد تعبوا من مسافة السفر . فنزلوا عن خيولهم واستظلوا تحت اغصان الشجر . وكان ذلك المكان . داخل بستان .

قال الراوي وكان سلطان المدينة في تلك الايام . رجلاً عالي المقام . ممدوحًا من الخاص والعام . اسمه الملك بدريس . وهو رجل لطيف انيس . وكان له وزير . عاقل خبير . اسمه الخزاعي صاحب راي وتدبير . فاتفق ذلك اليوم . انه خرج في جماعة من القوم . قاصد الصيد والقنص . واغتنام اللذات والفرص . فمرَّ بذلك البستان . فوجد ابوزيد ومن معه من الاعوان . فتقدم اليهم . وسلم عليهم . وسالهم عن احوالهم . وعن بلادهم واطلالهم . فنهض ابوزيد على الاقدام . وتكلم معه بافصح كلام . وقال اطال الله بقاك . وبلغك غاية مناك . اننا شعرا اتينا من بلاد الشرق . قاصدين الملوك واكارم الخلق . فسمعنا في جودك وكرمك ومحاسن اخلاقك وشيمك . فقصدناك الى هذا المكان . املاً بالانعام والاحسان . لانك فريد الزمان . واولى بالمديح والشكران . ثم انه عدل الرباب وانشد هذه الابيات . على مسامع الامراء والسادات

قال الاديب يموت من الم الحشا * ونيران قلبي زايدات اللهايب
اسمع كلامي ياامير وافتهم * وكن لقولي فاهما ومحاسب
جفتنا اراضينا من المحل والغلا * وحلت بنا بعد السرور متاعب
وبعد ذلك قد دهتنا فوارس * ميتين الف فوق خيل اطايب

فغاروا علينا يا امير بجمعهم * وداروا علينا مواكبا وكتايب
قتلوا فوارسنا وسبوا عيالنا * وخلوا نسانا راخيات الذوايب
وساقونا سوق الغنم من بلادنا * وعدنا ندور على بلاد الاغارب
فاكرم علينـــا يا امير فاننا * صرنا بحال الذل بين الاعارب

قال الراوي فلما انتهى ابوزيد من هذا الشعر والنظام. شكره الخزاعي على هذا الكلام. وقال له اعلم ياشاعر العرب. وصاحب الفضل والادب. انني الخزاعي وزير بدريس سلطان حلب. فاقصدوني نهار غدا الى المدينة. وانا اخلع عليك الخلع الثمينة. فيزول عنك العنا. وتنال القصد والمنا. ثم تركهم وسار. وجد في قطع القفار. بمن معه من الانفار. وبعد ان غاب عنهم وابتعد. ارسل ابوزيد الامير يونس الى البلد. ليأتيهم بشيء من المآكل والمشرب. لانهم كانوا في غاية الجوع والتعب. فسار بالعجل وجعل يدور فيها. ويتامل في اسواقها وحسن مبانيها. ثم رجع بالطعام. قبل دخول الظلام. واخذ يشرح لابي زيد عن حسن المدينة. وما شاهد فيها من القلاع الحصينة. وقال له في اخر الكلام. اعلم يافارس الصدام. انها من اظرف المدن والبلدان. نظراً لما فيها من الابنية والحوانيت الحسان ولاسيما لطافة اهاليها. وكثر الفاكهة الموجودة فيها فلما سمع مرعي باوصاف مدينة حلب. تعجب غاية العجب. وقال لابوزيد الراي عندي الان. ان نرجع الى الديار والاوطان. وناتي بقومنا الى هذا المكان. ونعيش بالراحة والامان. فقال ابوزيد لا بد من مسيرنا اولاً الى تونس. ثم صير الى

الليل وبعد ذلك ركب مع جماعته يحيي ومرعي ويونس. وجدوا في قطع البراري والاكام. ومروا بحماه وحمص وطرابلس حتى اشرفوا على مدينة الشام. وكان الحاكم عليها في ذلك الزمان. ملك عظيم الشان اسمه شبيب التبعي ابن مالك ابن حسان. وكان عالى الهم. موصوف بالجود والكرم فدخلوا اليه · وسلموا عليه. فصار ابو زيد يمدحه بهذه الابيات ويقول

يقول الاديب قصيد من الم الحشا * بدمع جرى فوق الخدود سجام
وعيني تبات الليل ما تالف الكرا * وترقب نجوم الطالعة بظلام
محلت اراضينا وقد قل خيرها * وصرنا ندور على ملوك عظام
سمعنا بجودك ياشبيب التبعي * ايافارس الفرسان يامقدام
اتينا نزورك من بلاد بعيدة * ونعود في عز مدى الايام
ونثني بذكرك في البلاد جميعها * فانت مغيث القوم يوم صدام
فجود علينا بالمكارم والعطا * فانك كريم من اباء كرام
واصرف زمانك بالسرور وبالهنا * على طول الدهر والاعوام

قال الراوي فلما انتهى من هذا الشعر والنظام. اكرمهم شبيب غاية الاكرام · واخلع عليهم الخلع العظام. واقاموا عنده ثلاثة ايام. وفي اليوم الرابع ودعوه وساروا · ولو كان لهم اجنحة لطاروا. الى ان وصلوا الى القدس الشريف. مدينة الانبياء ومحل التبريك والتشريف · فاقاموا بها يومين ومنها ساروا الى مدينة غزه · ودخلوا على حاكمها السركسي بن نازب فمدحوه بنفائس الاشعار. فاعتبرهم غاية الاعتبار · واقاموا

عندهُ عشرة ايام . في اعزاز واكرام . الى ان عرفوا مراكز المدينة . وما فيها من السكان والقلاع الحصينة . ثم جدوا في قطع البراري والقفار . والسهول والاوعار . حتى وصلوا الى العريش ودخلوا على حاكمها البردويل ابن راشد . فمدحوه بالاشعار والقصائد . واقاموا عندهُ ثلاثة ايام . في انبساط واكرام . ثم ودعوه وجدوا في قطع البرية . الى ان وصلوا الى مصر العديه . وتلك الاراضي البهية . فقصدوا ملكها الفرمند ابن متوج ودخلوا عليه وتمثلوا بين يديه . ومدحوه بنفائس الاشعار . فالتقاهم بالترحاب والوقار . واقاموا عندهُ ثلثة ايام . وهم في اعزاز واكرام . ولما اختبروا احوال البلاد . وعرفوا ما فيها من عساكر واجناد . ودعوه وساروا قاصدين الصعيد وبلاد المغرب . الى ان وصلوا الى عند الماضي ابن مقرب . فدخلوا وسلموا عليه . وتمثلوا بين يديه . ومدحوه بالاشعار . فاعتبرهم غاية الاعتبار واقاموا عندهُ عشرة ايام . في اعزاز واكرام . وكان هذا الرجل من اعلى الناس همما . واوفاهم عهودًا وذمما . واندادهم جودا وكرمًا . يكرم الضيوف . ويجود بالالوف . وهو الذي ذكره العالم النحرير . والمؤرخ الشهير . صاحب العلوم والفنون . عبد الرحمن ابن خلدون . في كتابه العبر . وديوان المبتدا واخبر . ويقال انه كان في الجود والمكارم . اسخى من جعفر وحاتم . وسوف ياتي ذكره بعد الان . ونشرح عن مزياه الحسان

قال الراوي وفي اليوم الحادي عشر . تأهب ابو زيد للسفر . فودع الماضي وكل من كان حاضرًا وسار مع جماعته قال الراوي واتفق ان

جماعة من شعراء العربان . كانوا قد قصدوا بلاد نجد ومدحوا السلطان حسن ابن سرحان . بالاشعار الحسان . كما جرت العادة في ذلك الزمان . بالعطايا الجميلة . والمواهب الجزيلة . وكان من جملتها جارية من بنات الحي . اسمها مىٌ . فشكروه على هذا الجميل والاحسان . ثم ساروا قاصدين الغرب وتلك الاوطان . حتى وصلوا الى تونس الخضراء . ومدحوا الزناتي خليفه وباقي الوزراء . فاحسنوا اليهم . وانعموا عليهم . ثم باعوا تلك الجارية الظريفة . الى سعدى بنت الزناتي خليفه . وكانت هذه سعدى من اجمل البنات . لطيفة الذات . قد اتصفت بالانس والمحاسن . وشاع ذكرها في جميع الاماكن . تجيز الادباء والشعراء . وتنادم الملوك والامراء . ذات ادب وفضل . ولها معرفة بضرب الرمل . فاتفق انها سألت تلك الجارية ذات يوم . عن سبب وقوعها في ايدي اولئك القوم . فاخبرتها بالقضية . وكيف ان السلطان حسن اوهبها لهم على سبيل الهديه . فقالت لها وهل يوجد نظيري بين نساء العرب . في الحسن والادب . قالت نعم ياصاحبة الجود والكرم . انه يوجد بين الامم من يشابهك في الظرف والجمال . ومكارم الشيم وحسن الخصال . وهو بطل الابطال . وزينة الرجال . الامير مرعى ابن مولاي حسن سلطان بني هلال . فلما سمعت سعدى منها هذا الكلام . تعلق قلبها في مرعي وهام . لان سماع الاذان . تعشق في اكثر الاحيان . قبل مشاهدة العيان . فقالت لها اذا كان كلامك هو حقيق . فاوصفيه على التحقيق . فاشارت مىٌ تقول . وعمر السامعين يطول .

تقول فتاة الحي ميّ التي شكت * فدمعي جرى من مقلة العين ساكب
ياست سعدى اسمعي شرح قصتي * ومن بعد قولي تنظرين العجائب
ولو تنظري ياست سيدي يحيى * فتمسي طول عمرك في متاعب
ولو تنظري ياست يونس مرةً * فنظره في يونس تزيل المصايب
ولو تنظري ياست مرعي بنظرةٍ * نظره على نظره فتسلي القرايب
له وجه مثل البدر عند اكماله * وخدين تحكي ساطعات الكواكب
له خد احمر والعيون نواعس * وكالسيف فاضي قفلته الحواجب
وطوله كعود الزان لو كان مائل * واحسن هلال وعامرٍ والاعارب
فما شفت مثله في الانام جميعها * ايانار قلبي زايدات اللهائب

قال الراوي فلما انتهت ميّ من هذا الشعر والنظام · وفهمت سعدى فحوى هذا الوصف والكلام · قالت لها هل تسمح ياترى الايام · وتبلغني القصد والمرام · وذلك بقدوم مرعي ويحيي ويونس · الى مدينه تونس · فقد تعلق قلبي بهواهم · ولايمكن ان اسلام . وقد خطبني عدة امراء . وجماعة من الملوك والوزراء . فلم يرغب ابي بهم . ولا اجابهم الى طلبهم . وقد بنى لي هذا القصر الكبير · وفوّض اليّ زمام الامر والتدبير . ثم انهم بعد هذا الخطاب والكلام · انشدت تقول هذا الشعر والنظام

تقول سعدى بنت سلطان تونس * الايام والدنيا تسوي العجائب
لقد كنت في عزٍ واهنى عيشةٍ * انام واضحى فوق اعلى المراتب
لقد جار دهري وزادت مصايبي * وصرت ذليلة بين كل الاقارب
ولي ثمان عشر سنة في حال شدةٍ * وفي الذل والاهوال من كل جانب

اتو يخطبوني من السند والرها * ومن الهند حتى ومن بلاد المغارب
ولا مير الا قد قصد لبلادنا * يقرى مراسيه ويرتد خائب
حلف ابي ان لايزوجني احد * ولو دفعوا له مال المغارب
وقد بنا لي هذا القصر رغبةً * مزين البنيان مرفوع الجنائب
عتبته من الفضه الرو باص والذهب * والباب صندل من خاص الخشائب
وعمل خرستانات من خاص ماصنع * شبابيك حرير وزادت عجائب
ولما بني ذا القصر في الحي والوطن * جعل فراشه من حرير الرطائب
وعلق داخله ستين جوهره * في الليل يضوي مثل ضو الكواكب
ولما بنا البنّا لقصري وهندسه * اعطى له من المال ما كان طالب
وهذه تريها قصتي ومقالتي * ودمعات عيني فوق خدي سكائب

قال الراوي فلما فرغت سعدى من شعرها ونظامها . وفهمت ميّ فحوى كلامها. جعلت تسليها بانواع الكلام . وتقول لها عليك بالصبر يابنت الكرام فما بعد الصبر الاّ الفرج وبلوغ المرام . فقالت لها سعدى قومي بنا نتنزه في البستان. وانا اضرب هناك الرمل وانظر احوال اسيادك الذين ذكريتهم لي الان . فان قلبي قد تعلق بهم غاية التعليق . ومرادي ان اعرف اخبارهم على التحقيق . ثم اخذتها معها الى البستان وكان من احسن المتنزهات وهناك ضربت الرمل وولدت البنات من بطون الامهات . حتى تاكد لها ذلك الخبر جهرًا وعرفت بالامور التي سوف تجري . وبينما هما في الحديث والكلام . اذ اقبل عليهما العلام . وكان هذا الرجل من سادات الانام . وابن عم الزناتي خليفه ونائبه في معاطاة

الاحكام . صاحب معرفة وعقل . ومن اخبر الناس في ضرب الرمل . وكان يتردد على سعدى في اكثر الايام . لانهُ من جملة الاهل وبني الاعمام . فسلم عليها فردت عليه السلام . واستقبلتهُ بالترحاب والاكرام . فجلس بقربها . وكان قد عرف ما في قلبها . لانه كان قد ضرب الرمل في ذلك النهار . وظهرت له حقيقة الاخبار . فاعلمها بافكارها . وكشف لها عن اسرارها . فطلبت منه ان يكتم ذلك الخبر . ولا يبح بهِ لاحد من البشر . خوفًا عليها من الضرر . وقالت له اريد من فضلك ياعمي . ومن هو كاشف همي وغمي . ان تعلمني متى حضر هولاء القوم . فاني بانتظارهم في كل يوم . فاجابها الى ذلك الطلب . واوعدها بالمساعدة على بلوغ الارب . ثم ودعها وسار طالبًا الصيد والقنص وبقي ثلاثة ايام ثم رجع الى داره بسلام .

قال الراوي هذا ما كان من سعدى وعمها العلام . وما وقع بينهما من الحديث والكلام . واما ما كان من البطل الهمام . والاسد الضرغام ابوزيد فارس الصدام . ومن معه من السادات الكرام . فانهم كانوا قد جدوا في قطع الروابي والاكام . مدة عشرة ايام حتى وصلوا الى تونس وقت الظلام . فباتوا خارج المدينة . وفي اليوم الثاني تاملوا في مبانيها فوجدوها متينة . وابراجها حصينة . كثيرة القلاع . قوية الدفاع . انهارها غزيرة . وخيراتها كثيرة . فجعلوا يدورون حواليها . ويتبصرون كيف يكون الهجوم عليها . فاتفق انهم دخلوا في بعض الايام الى بستان . وكان كفردوس الجنان فاستتروا تحت اغصان

الشجر . وكانوا يقطفون ويأكلون من الثمر . فبينما هم على تلك الحال .
اذ اقبل عليهم العلاّم وجماعة من الابطال . قد ارسلهم الزناتي ليقبضوا
عليهم ويقيدوهم بالاغلال . حيث كان بلغه خبرهم من الفرسان .
بانهم في ذلك البستان . فداروا بهم من اليمين والشمال . فلما نظر ابو زيد
تلك الفعال . استعد للحرب والقتال . وهجم عليهم كالسبع . وضرب
بالسيف في ذلك الجمع . فقتل منهم عدة رجال . ومددهم على الرمال .
ثم تكاثرت عليهم العساكر والجنود . واحاطوا بهم احاطة الدمالج في
الزنود . وقبضوا على مرعي ويحيي ويونس في الحال . واوثقوهم بالقيود
والاغلال . ولم يقدروا على ابي زيد في الحرب والقتال . فعند ذلك
تقدم اليه العلام على انفراد . وقال له من تكون من العباد . وما هو سبب
مجيكم الى هذه البلاد فقال اننا شعراء من بلاد الشرق . وعادتنا ان نمدح
الامراء واكابر الخلق . فسمعنا بكرم الزناتي خليفه . وما خصه الله به من
الشمائل اللطيفه . فقصدناه من بلاد بعيده . لاجل هذه الغاية الوحيده .
وكان وصولنا مساء امس الى البلد . فبتنا في هذا المكان حيث اننا غرباء
ولا نعرف احد . الى ان اشرفتم بجمعكم علينا . واوصلتم اذاكم الينا .
بدون ان نعلم المقصود . وانا اسمي محمود واسم جماعتي شداد وحماد
ومسعود . فقال له لقد كذبت في المقال * وتكلمت بلام المحال * وما
انت الاّ الامير ابو زيد * صاحب المكر والكيد واما رفاقك فهم مرعي
ويحيي ويونس * وقد اتيتم الى بلادنا لتروموا بلاد تونس * ثم انه بعد
هذا المقال * انشد وقال

يقول الفتى العلام عما جرى له * الايام والدنيا تسوي العجايب
فنحن الملاحم ياسلامه تدلنا * من عهد تبع ارخت في الكتايب
وعندي خبر يطلوعكم من ارضكم * يوم الخميس العصر والريح طايب
فودعكم حسن الهلالي ابوعلي * بمدة سبعة ايام والضعن سايب
ثمانين اميرًا الذي قروا الفاتحة لكم * واهدوها لمن هو عالم بالمصايب
فجئتم على ارض الدبيسي ابن مزيد * وقصدتموه دون كل الاعارب
وجئتم بلاد العمق في حال سرعة * قتلتم سعيد العبد بين المضارب
وجئتم على شكر الشريف ابن هاشم * فرش لكم خاص الحرير الرطايب
ودرتم بلاد العجم من كل ناحية * وجئتم الى الكوفة وتلك السباسب
وجئتم بلاد التركمان جميعكم * فردتم اراضيها من كل جانب
وجئتم الى ارض الخفاجي عامر * ابو ذوابة وهو قليد العرايب
قطعتم حلب من خوف تعلم صفاتكم * قطعتوها والليل راخي غياهب
وجئتم الى غزو بلاد خصيبه * مدحتم ملكها السركسي ابن نازب
وجئتم الى مصر ابن يعقوب يوسف * مدحتم ملك فرمند ابن الاطايب
ولو تعلم يابورية ماذا يصيبك * لبكيت عمرك بالدموع السواكب
فتوخذوا للشنق عشرين مرة * وانا اخلصك بجد القضائب
بجوش الزناتي الثلاثة رفاقتك * وانت تعاود في وسيع الكتايب
فتجمع رجالك ياهلالي سلامه * مثل الجراد المنتشر في السباسب
اربع تسعينات الوف عدادهم * يا ابو مخيبر ياقليد العرايب
تسعين للمسمي الهلالي ابوعلي * لطيف المعاني والليالي حدايب

وتسعين للقاضي بدير ابن فايد * وتسعين للزغبي دياب المحارب
وتسعين من زحلان قومك وعزوتك * امارا وممدوحين بين العرايب
تطيب لكم نجد الى قاع تونس * فلما تحشوا الى بلاد المغارب
بجيكم ابو سعدى الزناتي خليفه * يخلي دماكم على الاراضي سكايب
ومن بعدها ياتي دياب ويقتله * بمزراق في عينه يقد القضايب
فخذ برنسي واذهب ورودبلادنا * وروح ورودها شرقها والمغارب
وان كلموك الحميرية فقل لهم * انا شاعر العلام ذاك المحارب
انا شاعر العلام يامن يكلمك * اخلي قناتي فيه تغدي شطايب

فلما فرغ العلام من هذا المقال * امر الفرسان بالهجوم عليه وقال امسكوه ولا تاذوه فانطبقت الفرسان على ابي زيد من اليمين والشمال حتى قبضوا عليه واخذوه مع باقي اصحابه الى عند الزناتي المشار اليه وصحبتهم العلام المذكور فان الضرورة احوجته لتلك الامور وذلك امتثالاً لطاعة الزناتي ابن عمه . لانه لم يقدر على مخالفة امره وحكمه . ولما دخلوا بهم عليه . تمثلوا بين يديه . وقالوا اعلم يامولانا . ان هذا العبد الذي حاربنا ودهانا . وقتل منا ابطالاً وفرساناً . فاغتاظ الزناتي وتكدر من هذا الخبر وقال لابي زيد من تكون من العربان . يا اخس السودان . قال نحن شعراء . نقصد الملوك والامراء . فنمدحهم وناخذ الانعام . ونحصل على بلوغ المرام . وهذا عودابنا في كل عام . فسمعنا بكرمك . ومحاسن شيمك . فقصدناك من بلاد العرب . طمعا بالفضة والذهب . واذ كنا من الاغراب . ليس لنا في هذه المدينة

اصدقاء ولا احباب . ولاسيما في تعب وضيق . من مشقات الطريق .
دخلنا الى ذلك البستان . لنأخذ لانفسنا راحة يامالك الزمان . ثم
نقصد جنابك العالي . وباقي السادات والموالي . فاحاطت بنا
العساكر مع الامالي . ودار وا علينا يامولانا . قاصدين قتلنا واذانا .
فاقتضى اننا دافعنا عن انفسنا بقدر الامكان . الى ان وقعنا في قبضة
الاسر والهوان . وقد اعرضنا قصتنا عليك . وفوضنا امرنا اليك .
فأمر ما تشاء وتريد . ايها الملك السعيد فلما سمع الزناتي هذا الكلام .
ابدى الضحك والابتسام . وقال يامناحيس ما انتم الا جواسيس .
اتيتم لتدوروا البلاد . وتعرفوا احوال العباد . ثم تذهبوا وتاتوا بالعساكر .
والجمع الوافر . فتمتلكون بلادنا واراضينا . وتحكمون بجموعكم
فينا . وهذا هو السبب الذي قادكم الينا . وحملكم على القدوم والهجوم
علينا . فلا بد من قتلكم يا اوغاد . على رؤس الاشهاد . جزاء على
هذه المجاسرة وتكونون ماكلاً للوحوش الكاسرة

قال الراوي وكان الزناتي قد وقف على الخبر اليقين . من
المنجمين ودهاة الرمالين . وبعد مفاوضات طويلة مع ارباب المجلس .
استقر الراي على شنق ابي زيد ومرعي ويحيي ويونس . فاخذ العسكر
هولاء الاربعة . وكانت الناس عليهم مجتمعة . ولاجل التفاديز مروا
بهم من تحت قصر الاميرة سعدى وكانت في ذلك الوقت جالسة
تتغدى . فلما سمعت ضجيج العسكر . قامت مع جاريتها لتعلم ما الخبر .
فطلت راسها من الشباك . وهي في حيرة وارتباك . فلما معنت فيهم

النظر . اعتراها الغم والكدر . وقالت لمولاتها اعلمي يازينة الدنيا .
ان هولاء الثلاثة هم مرعي و يونس ويحيي . واما هذا العبد الرابع . فهو
ليث الوقائع الاميرابي زيد فارس المعامع . فلما سمعت سعدى منها
هذا الكلام . تبدّل نهارها بظلام . لانها كانت تعلقت بحب مرعي
دون باقي الانام فصاحت على الجلادين . والعساكر المحافظين .
وقالت لهم ارجعوا الى عند ابي بهولاء العرب . واياكم ان تقتلوهم فيحل
بكم العطب . واني ساتبعكم علي الاثر . لاقف على حقيقة الخبر . فلما
سمعوا كلامها . وفهموا قصدها ومرامها اجابوا امرها بالطوع والامتثال .
ورجعوا بهم في عاجل الحال . وذلك لما يعهدون من علو منزلتها .
ونفوذ كلمتها . ثم ان سعدى بعد ذلك الخطاب . لبثت افخر الثياب .
وتعطرت بالاطياب وسارت الى عند ابيها . في جماعة من حواشيها .
وكان جالسًا في الديوان . ومن حوله الوزراء والاعيان فدخلت
وسلمت عليه . وقبلت يديه فنهض لها قائمًا على الاقدام واحترمها
غاية الاحترام واجلسها بجانبه في صدر المقام ثم سالها عن كيفية احوالها
وعن السبب الذي اوجب انزعاج بالها فقالت قد بلغني من الاعوان
بانك امرت بشنق جماعة من شعراء العربان اتوا قاصدين جنابك
من ابعد مكان طمعًا بالانعام والحصول على بلوغ المرام فما كان جزاهم
منك الا القتل والاعدام عوض الاحسان والاكرام فلما سمعت بهذا
الكلام انزعج بالي وتغيرت احوالي لاني اعلم ان هذا الحال يكون سببًا
للقيل والقال بين سادات الرجال وينسبوك الى البخل والغدر و يتكلم

فيك زيد وعمرو فامرت العسكر والمحافظين ان يتوقفوا عن قتل هولاء
المساكين ليبينا اتي اليك واقص هذا الحديث عليك فلما سمع ابوها هذا
المقال اعلمها بواقعة الحال وقال لها ان هولاء الرجال ما قصدوا هذه الديار
والاطلال الا ليرودوا البلاد ويقفوا على اخبار العباد ثم يذهبوا ويانوا
بالعساكر والاجناد ويستخلصوا ديارنا بالحرب والجلاد وهذا هو السبب
يامنتهى الارب وصاحبة الفضل والادب فما فعلت الا الصواب لانهم
يستحقون القتل والعذاب فقالت اذا فعلت ذلك تعيرك جميع دول
الممالك لانك لم يثبت عليهم ذنب لحد الان ولا يوجد عليهم ولا برهان
كما ترم يامالك الزمان وانا اشور عليك بحسب فكري ان تحبس هولاء
الثلاثة شبان في قصري ويكونون تحت طوعي وامري وترسل ذلك
العبد الى بلاده بلا اهمال في طلب الفدا والمال فان احضر ذلك
يصير فكهم من الاعتقال وتكون انت معذور عند جميع الرجال فقال
لها وحق الاله الرحيم اني خائف من هذا العبد اللئيم لانه فارس
شديد وبطل صنديد ثم اخذا يتنادمان بهذا القصيد

يقول ابو سعدى الزناتي خليفه ❊ فعقلي تراه قد غدا محتار
اتوني جواسيس من الشرق عاجلا ❊ امارة اصائل من فروع كبار
ونزلوا على ارض لنا وبلادنا ❊ فصرنا بحيرة والامور عسار
وفيهم ترى عبدًا كبار شفافه ❊ له ضرب يقطع صخرها وحجار
ايا نور عيني كيف افعل بعبدهم ❊ اطلقه ثم احبس الامار
اثني سعدى مثل شمس منيرة ❊ لها وجه يضوي مثل نور قمار

وقالت ارفق يا ابي باوامرك ❋ ترى الظلم يخرب كل دار عمار
اياسعد كيف العمل فيما جرى ❋ اياعالمة بالكتب والاسرار
اياسعدى قلبي من العبد خائف ❋ فعينيه في وجهه كشهب النار
اياابي هذا كان بصاص في بلاده ❋ على كثر شوف الناس عيونه كبار
اياسعدى قلبي من العبد خائف ❋ اشوف شفافه لكثر القول كبار
اياابي هذا كان عشي في بلاده ❋ على كثر ذوق الاكل يرون كبار
اياسعدى قلبي من العبد خائف ❋ اري كتفه للبس الدروع كبار
اياابي هذا كان ملاقي بلاده ❋ على كثر حمل الماء كتافه كبار
اياسعدى قلبي من العبد خائف ❋ ارى رجليه لوخز الركاب كبار
اياابي هذا كان ساعي في بلاده ❋ على كثر المشي رجليه كبار
اياسعدي قلبي من العبد خائف ❋ ارى كفوف العبد لطعن الرمح كبار
اياابي هذا كان فران في بلاده ❋ على كثر رق الخبز كفوفه كبار
فامسك جياد القوم واطلق عبدهم ❋ يخبر الى سيده بما قصد صار
فيحضر لنا مالاً ونوقاً كثيرةً ❋ ويأتي بخيل ملاح كثار

قال الراوي ولما فرغ الزناتي من هذا الشعر والنظام اجاب سعدي الى ذلك المرام فاخذت الاربعة انفار وسجنتهم عندها في الدار على عيون النظار ثم انها اخذت من الطعام ما يكفيهم جميعاً ونزلت اليهم سريعاً فاجتمعت بمرعي في اول الامر وقالت له كل ولا تخبر احد بل احفظ ذلك بالسر ثم فعلت هكذا بيحيي ويونس وقالت ليونس ان يرسل لها ابو زيد فلما حضر قدمت له شيئاً من الطعام فشكرها على

هذا الاهتمام . ثم انهُ قسمهُ الى سبعة اقسام . فسالته عن سبب ذلك . فقال اعلمي يازينة الممالك . وبدر الليل الحالك . اني انا وجماعتي اربعة وانتِ والجارية اثنتان على التمام . والحصة السابعة ساحزمها بحرام . وارسلها الى ابنة عمي عليا في الظلام . وكان ابو زيد يقول هذا الكلام . وهو متوقف عن اكل الطعام . فقالت لهُ سعدى لماذا لا تتغدى . فتنهد من فوادٍ متبول . وانشد يقول

اذا اكلت انا وجاعت جماعتي ✻ فادعي على حالي بضرب الصفائح
وان جعت انا واكلت جماعتي ✻ فاحمد ربي وهو كريم مسامح
اياست زاد اثنين يكفي ثلاثة ✻ ويكفي اربعة ياست والكل رائح
ويكفي لخمسه من اجاويد حينا ✻ ويكفي لسته من هلال السمائح

فضحكت سعدى من كلامهِ . واعجبها فحوى شعره ونظامه . ثم انها بعد ذلك الكلام اخرجتهم من الحبس واحضرتهم الى عندها وقدمت لهم الطعام واخذت تحادثهم بالكلام وتسالهم عن احوالهم وعن بلادهم واظلالهم فقال ابو زيد نحن من جملة الشعراء نقصد الملوك والامراء فنمدحهم بنفائس الاشعار ونرجع الى الديار بالدرهم والدينار فقالت انكم لم تعلموني على الحقيق مع اننى عارفة باحوالكم على التحقيق ثم اخذت تعلمهم بسفرهم وما جرى لهم في الطريق والسبب في قدومهم الى تلك الديار بهذا القصيد الذي يستحق الاعتبار

قالت سعدى بنت سلطان تونس ✻ بدمع جرى فوق الخدود غزار
ضربت تخت الرمل عشرين مرة ✻ ومن بعدها شفت الحروف جهار

فعرفتكم وعرفت اسم اميركم * وعرفت اساميكم بلا انكار
ان مشير القوم سلطان عامر * حسن ابن سرحان الامير جهار
وهذا يحيي وذاك يونس ومرعي * وانت ابوزيد فارس الاقطار
فحملت اراضيكم وقد قل خيرها * فجيتم لتونس تكشفوا الاخبار
فقالوا يابوزيد نرضاك رائد * ترود بلاد القيروان عمار
فقلت لهم سمعًا والفين طاعةٍ * اريد ثلاثة من فروع كبار
اريد الفتى مرعي ويحيي ويونس * اماره اصايل من فروع كبار
فجاوا ثلاثتهم اليك كانهم * اسود كواسر طالبين قفار
فمن يوم فارقتم نجد وارضها * فانى افتقي منكم الاثار
ركبتم مطاياكم وسرتم بسرعةٍ * قصدتم مكه والنبي المختار
وجزتم حلب ليلاً في حال سرعةٍ * وردتم حماه وحمص بوسط نهار
وجئتم لارض الشام جزتم بلادها * وجئتم الى القدس الشريف جهار
مررتم على غزه وقطيه وغيرها * وبلبيس جزتوها بلا انكسار
وجئتم الى مصر ابن يعقوب يوسف * مررتم على نيل الصعيد مرار
مررتم على الماضي فحيي ركابكم * فرش لكم بيت الضيافه ودار
لكم مية ليله سائرين بعجلةٍ * وعشرة ليالي كامله بنهار
ولابد ما تاتي هلال بن عامر * من الشرق فى جمع كثير غزار
باربع تسعينات الوف عديدهم * كذا دل الرمل يا اخبار
بحرف الالف تالف عليكم قلوبنا * اربع تسعينات الوف مهار
والباء بدت خيل ابن سرحان ابي علي * بهجن تلاقيها قطار قطار

والتا مترى في محل نجد وارضها * سبعة سنين كاملات عسار
والجيم جئونا نرودوا بلادنا * وناخذ لقومك صحة الاخبار
والحاء حبي ثم غرامي بحبكم * وحبي لمرعي قد كواني بنار
والخاء خلينا ك ترجع وتثني * تجيب لنا مال وما تختار
والدال دل الرمل عندي وبان لي * بان بلاد القير وان دثار
والذال ذل الرمل تملك بلادنا * وتخلونا من ارضنا والديار
والراء راينا كم نجو باسلامه * على اصابل تقطع الاقفار
والزاء زالوت البلاد باهلها * وكل امير يخجل الاقمار
والسين سرتم من بلاد بعيدة * قطعتو الفضا والسهل والاوعار
والشين شديتوا المطايا لارضنا * وكم دار قطعتوها بعقب نهار
والصاد صدناكم على غير خاطر * وعدتم بقاع السجن ياشمار
والضاد ضربتم في جموع زناتة * ومعه تاريخكم واخبار
والطاء طفتوا الغرب ردتم بلادنا * وابصرتم البلدان وكل ديار
والظاء ظني انكم تملكونا * وها قولي وظني هو صحيح جهار
والعين عيني نحو مرعي تطلعت * فاشعل في قلبي لهيب النار
والغين غيب مجمنا من قبالكم * ونجم ابي واتف عليه غبار
والفاء فارقتم لنجد واهلها * وجئتم الينا تكشفوا الاخبار
والقاف قلبتم كل معنى كلامكم * وقلتم معاني اطيب الاشعار
واللام لميتم رجال لحينا * وجئتم الينا تملكوا الاقطار
والميم مال القلب في حب مرعي * ولولا مرعي ما نظمت اشعار

والنون نلقاكم على خيل ضمرٍ * وكل رديني اسمرسه خطار
والهاء همل دمعي مما اصابني * على شان مرعي انكويت بنار
والواو ولت خيلنا من رجالكم * وتبقى تونس والديار قفار
والياء يبقى علمكم فوق علمنا * باذن الله الواحد القهار
واني وحق الله ما اخون عهدكم * ولو قطعوني بالسيوف نثار

قال الراوى فلما فرغت سعدى من كلامها شكرها الامير ابي زيد وجماعته على حسن اهتمامها وباتوا تلك الليلة في سرور وانشراح ولما اصبح الصباح واشرق بنوره ولاح امر الزناتي باحضارهم اليه فلما حضروا وتمثلوا بين يديه قال لابي زيد اذا اطلقناك الان لناتي بفدا جماعتك من الاوطان فكم يوم تغيب عنا وماذا تجيب لنا فقال اغيب نحو ثلاثة شهور واجيب لك اربعماية الف مدرع مشهور فقال وما هو مرادك من المدرع ايها البطل السميدع فاخرج الامير ابوزيد من جيبه قطعة من الفضة الخاص وانقى من الروباص وقال هذا هو المدرع يازينة الممالك ففرح الزناتي بذلك وقال اذهب باسان الى الاوطان فقال اعطني عدة حرب وحصان لان الطريق مخطره والاراضي موعره فاعطاه ما طلب وبعد ذلك ودع الزناتي وذهب وجعل يدور البلاد ويطوف في المدائن حتى اشرف الى وادى الغبائن وتلك الاماكن فوجدها كثيرة المياه والنبات متسعة البراري والفلوات تصلح للحرب والقتال ومرعى النوق والجمال ثم سار من هناك الى قابس ومنها الى عين دورس فوجدها احسن محل لامتلاك تونس وقد تعجب من خيرات تلك البلاد

وكثرة ما فيها من الايراد وما شاهد من البلدان الكثيرة والامياه
والبساتين الغزيرة فانشرح خاطره وطابت سرائره فهذا ما كان من
ابي زيد ليس البطاح واما مرعي ويحيي ويونس فاخذتهم سعدى لعندها
وبقيوا في سرور وافراح وبسط وانشراح اما الامير ابوزيد فبعد ان دار
جميع البلاد وعرف جميع السهول والوهاد رجع ليرى احوال الاولاد
ولما دخل الى قصر سعدى تقدم اليهم وسلم عليهم فقال له يونس انت
باقي في تونس ونحن نقاسي اشد الضيق فقال له انني تهت عن الطريق
وقد صممت الان على السفر واتيت لوداعكم ثم تقدم اليهم وودعهم
واوصى سعدى بهم ووعدهم برجوعه اليهم باقرب وقت ثم بكوا بكاء
شديدًا وتقدم الامير مرعي واشار يودعه ويوصيه بالسلام يقول

يقول الفتى مرعي بعين وجيعه * * ونيران قلبي زايدات السمايم
فسر بسلام ياهلالي سلام * * فالله لا يريك عمرك غمايم
فاذا وصلت لارضنا وبلادنا * * فسلم على اهلي وكل الاكارم
وسلم على ابي حسن الدريدي * * وسلم على الزغبي دياب ابن غانم
وسلم على شيخا الاميره وقل لها * * لتدعي لنا بالشمل انه ملايم
اياخال جد السير واستغنم السفر * * فما فاز يا ابوزيد بالشكر نايم
اياخال لا تلهيك عليا فتلتهي * * وتتركنا في حبس كله ظلايم

قال الراوي فلما فرغ الامير مرعي من كلامه وابوزيد يسمع نظامه
فقال له لا يكون لك ادنى فكر فانني سابذل الجهد في تخليصكم ثم
ودعهم وسار وعيناه تزرف بالدموع من جرى ما اصابه واصابهم وسار

يقطع البراري والقفار. ويوصل سير الليل بسير النهار مدة عشرين
يومًا حتى اقبل الى ارض الصعيد فدخل على الماضي ابن مقرب واخبره
بما جرى لهُ من الاول الى الاخر فبكى الماضي بكاءً شديدًا ثم انهُ بقي بضيافته
نحو يومين وبعد ذلك ودعهم وسار يقطع البراري والقفار مدة عشرة
ايام حتى اقبل الى نواحي حلب فجلس تحت ظل شجرة هناك لاخذ الراحة
فبينما هو جالس اذ اقبل عليهِ رجل تاجر وحياه بالسلام ثم سالهُ الامير
ابوزيد عن حالهِ فقال انني رجل تاجر قاصد بلاد الغرب فقال
ابوزيد هل تعرف الامير علام فقال لهُ انهُ من اعز اصحابي. واعظم
احبابي. فقال لهُ ابوزيد انني ارغب ان اعطيك كتاب اليهِ فقال
اكتب ما بدالك فعند ذلك اخذ ابوزيد يكتب للعلام ويقول

يقول ابوزيد الهلالي سلامي * فمن كان شقي ما تسعده الايام
نعم ايها الغادي وحامل كتابنا * تجد السرى في واسع الاكام
اذا جئت الى تونس وقابس وارضها * فسلم على المسما الفتا العلام
وقل لهُ قال الهلالي سلامي * ابيات شعر زايده بكلام
اوصيك في مرعي ويحيي ويونس * اولاد اختي من فروع كرام
وارجوك تردد عليهم وتحيي * وتحفظهم من شدة الاوهام
فلابد ما ارجع اعود واثني * ولابد ما اني بقوم لزام
باربع تسعينات الوف عدادهم * تشبه جرادًا منشر بغمام
ولابد من لطمة على باب تونس * ويبقى الدما فوق الثرى عوام
ولابد من قتل الوهيدي بصارمي * وابقي الزناتي بالقيود ينام

واملك بلاد الغرب في حد صارمي ❊ واسلطنك في الغرب ياعلام

قال الراوي فلما فرغ الامير ابوزيد من قوله طوى الكتاب وختمه بختمه فاخذه التاجر وسار يقطع البراري والقفار حتى اشرف الى تونس وتلك الديار فاخذ المكتوب وسلمه الى العلام ففضه وقراه وعرف حقيقة فحواه واما الامير ابوزيد فانه ما زال يجد في المسير مدة خمسين يومًا حتى اقبل الى نجد وتلك الاوطان وحين دخوله الى نجع بني هلال التقاه الكبار والصغار وكلما تقدم الى قدام يتزاحمه الجمع غاية الازدحام وهم يصرخون بصوت واحد اليوم قد اتانا من هو عزنا وحمانا · وما زال سائرًا حتى اقبل الى صيوان السلطان حسن فدخل وسلم عليه وعلى الذين حواليه فلما نظره السلطان حسن والامير دياب والقاضي بدير والامير زيدان شيخ الشباب تقدموا اليه وقبلوه بين عينيه واجلسه السلطان حسن بجانبه ودارت البشائر في بلاد نجد بان الامير ابي زيد قد حضر من بلاد الغرب فاجتمعت الفرسان من كل جانب ومكان حتى احتبك الديوان وحينئذٍ ساله السلطان حسن عن الامرا مرعي ويحيي ويونس فعند ذلك بكي الامير ابوزيد بكاء شديد واشار يخبرهم عما جرى له ولهم من التعب الشديد بهذا القصيد

يقول ابوزيد الهلالي سلامي ❊ ولي قصة من اعجب الاخبار

في سفرتي للغرب حتى ارودها ❊ وفي رجعتي قاسيت هموم كتار

دخلت الى ارض الزناتي وذرتها ❊ ودرت ميامنها ودرت يسار

واخذ حشيش الارض بيدي وادفته * واعلمه من خوف لا احنار
حتى اذا جات هلال ابن عامر * على خيلهم بالعسكر الجرار
يقولوا فما هذا الحشيش الذي هنا * فاخبرهم عما جرى لي وصار
اقول لهم اني وصلت الى هنا * وهذا دليلي ياعرب اجهار
ومازلت اكتشف المداين والقرى * حتى وصلت لتونس والدار
دخلنا على بستان بجوار تونس * فاتاني منها عسكر جرار
فصحت عليهم صيحة الله اكبر * اله تعالى عالم الاسرار
فمسكونا من بعد حرب عنيفة * وضرب يقطع صخرها وحجار
واخذونا لعند الزناتي خليفه * فتهددنا بالقتل يا اخيار
فخلصتني ابنته سعدى بشورها * وقالت تراهم يا ابي شعار
فاحبسهم عندي وارسل عبدهم * يجيب اليك فكاكهم بجهار
وان مرعي ثم يحيي ويونس * قد بقوا عندها بوسط الدار
لان سعدى بمرعى تعلقت * وصار قلبها نحوه كشعلة نار
جزاها اله العرش خيرًا ونعمة * فلولاها شنقونا بلا انكار
وصرنا فضيحة بين كل قرومنا * وصارت اهالينا باوشم عار
فارسلني الزناتي لاحضر فكاكهم * كقول سعدي زينة الاخيار
ولما عزمت على الرجوع لارضنا * فبكيوا الامارا من قلوب مرار
ووصاني الامير مرعي وقال لي * فسلم على ساداتنا وكبار
وسلم على والدي حسن الدريدي * مربي اليتاما ومقصد الشعار
وسلم على القاضي بدير ابن فايد * وعلى دياب الفارس القهار

وسلم على عليا وريا وغيرها * والجازية من نسل قوم كبار
ابو زيد اقري منا امهاتنا * سلام برتبة ياعزيز الجار
وقل لهم في الحبس يحيي ويونس * ومرعي يقاسي لوعة ومرار
ففارقتهم والعين تزرف في البكا * وسرت في البيدا بوسع قفار
وكم ساعة في ساعة بعد ساعة * امسح دموعي بليلها ونهار
فيغيب عقلي عند ذكر رفاقتي * وقلبي كواه البين والامرار
وبعد خروجي من المغارب وارضها * بعشرين ليلة زايدات نهار
دخلت على الماضي ابو الجود وحده * واخبرته فيما جرى لي وصار
فبكى وبكي الحاضرين جميعهم * وحزن على مرعي وعقله حار
وبقيت عنده مقدار يوم وليله * ومن بعدهم قد قلت الحضار
باني راجع الى بلادي وارضنا * واني ساخبرهم بما قد صار
ففارقتهم والعين تجزع في البكا * وقلبي غدا مني كشعلة نار
وما زلت سائر في البراري وسهلها * والله يعلم كلما قد صار
مسافة تسعين يوم ثم ليالها * حتى وصلت اليكم للدار
واني لقد اخبرتكم فيما جرى * فما الشور والتدبير فيما صار

قال الراوي فلما فرغ ابو زيد من هذا الشعر والنظام. بكي السلطان حسن ومن حضر من السادات الكرام. ولا سيما اهل الاولاد. فقد تفطرت منهم الاكباد. وقالوا لابي زيد عن فرد لسان اعلم يافارس الفرسان. اننا لا نفك عنك. ولا نعرف اولادنا الا منك. فقال كونوا براحة بال. فاني كما اخذتهم من الاطلال. سارجعهم على

احسن خال . وانعم بال . ولما انتهى من هذا المقال . التفت السلطان حسن الى الحاضرين . والسادات المعتبرين وقال لهم ان مرادي الرحيل الى بلاد الغرب . واقيم هناك الحرب . واخلص الامراء بالطعن والضرب . فاستحسنوا هذا الخطاب وقال ابوزيد البطل المهاب . هذا هو الراي الصواب . ولكن قبل الرحيل من هذه الاطلال بالفرسان والابطال . والنساء والعيال . يجب ان نرسل ايها السلطان الموئيد بعض الزوات العمد . ليأتي بالجازية ام محمد . لتركب امام ظعون بني هلال مع باقي سيدات الامراء والابطال . وهن الست ريما والست عدلا والست ريا وسعد الرجا وبدر النعام وجوهرة العقول وزهر الدوح ونجم السحور وزين الدار والست عليا . لانه اذا اشتعلت نيران الحرب . ووقع الطعن والضرب تكون الجازية وباقي السيدات . امام الابطال في العماريات . لان الجازية من النساء المشاهير . ذات راي وتدبير . وهكذا تم الراي بين الامراء والاعيان وارسلوا اربعة وعشرين فارسًا من الشجعان . واحضروا الجازية في الحال . بالاحترام والاحتفال . وبعد وصولها بايام قليلة . استعدت للرحيل فرسان القبيلة . وتاهبوا للطعن والضرب . والمسير الى تونس الغرب . وامر السلطان حسن بدق طبل الدبوح حسب العادة . والاصطلاحات المعتادة . فدق في الحال واجتمعت الفرسان والابطال وسادات الرجال . ودخلوا على السلطان حسن ابن سرحان . وهو في الديوان . فاخبرهم بما جرى وكان وقال لهم قد استقر راينا الان على

ان نرحل من الاوطان . ونقصد بلاد الغرب بعد سبعة ايام . فكونوا في الاستعداد التام . لان ارضنا قد امحلت ووقع بنا الفنا . واولادنا في اسر الزناتي يقاسون الويل والعناء ثم انشد يقول . وعمر السامعين بطول

يقول الفتى حسن الهلالي ابوعلى * فدمعي جرى فوق الخدود غزير
ونيران قلبي كلما قول تنطفي * يهب لها طي الضلوع سعير
على ماجرى في نجد ياطول سرتي * وقلبي تحسر باللظا تحسير
بكيت على ارض لنا وبلادنا * فليس لها بين البلاد نظير
اتانا الغلا والمحل من كل جانب * وعظم نواح كبيرها وصغير
فسبعة سنين لم نرى العشب والشجر * ولا نزل في نجد نهر كبير
فقوموا بنا من نجد قد قل خيرها * قوموا انهضوا ياقوم سير وسير
فمن كان عنده بنت عمه تلازمه * يهيء لها هودج بظهر بعير
ومن كان عنده بنت عمه اجنبيه * يردها الى اهلها بمال كثير
ونادوا على العربان من كل جانب * فبعد سبعة ايام يكون مسير
ونوضع ابوزيد الهلالي دليلنا * ابو زيد قيدوم لنا ومشير
وابقا انا خلف الضعون جميعهم * فقلبي عيل لكل طفل صغير

قال الراوي وفي اليوم السابع تجهزت الابطال . للمسير والارتحال فهدت المضارب والخيام . وانتشرت الرايات والاعلام . ودقت الطبول وركبت الفرسان ظهور الخيول . واعتقلوا بالسيوف والنصول وركبت الحريم والعيال . والاولاد والاطفال . ونساء الامراء العمد .

والجازية ام محمد وكان الامير ابوزيد في مقدمة الفرسان . في تسعين الف عنان . من بنى زحلان ومن خلفه السلطان حسن ابن سرحان . في تسعين الف فارس من بني دريد الشجعان . وعلى جانبه القاضي بدير الاسد الباسل . في تسعين الف مقاتل ومن وراه الامير دياب ابن غانم . القرم المصادم . في تسعين الف فارس من بني زغبه الاشاوس وخلف الجميع الامير زيدان شيخ الشباب . والبطل المهاب في ستين الف من الجحال . لحماية النسا والعيال . وجدوا في قطع البراري والقفار والسهول والاوعار . قاصدين بلاد الغرب وتلك الديار وكانوا كالجراد المنتشر . لا يعرف لهم اول من اخر وقد ملاوا بكثرتهم البراري والاكام . وكان يبعد اولهم عن اخرهم مسافة خمسة ايام وما زالوا مجدين في المسير حتى اشرفوا في اليوم العاشر على بلاد حزوه والنير . وهي بلاد واسعة الجنبات . كثيرة المياه والنبات . فنزلوا في تلك الارض ونصبوا المضارب والخيام

قال الراوي لهذا الكلام . وكان حاكم ذلك البلاد يقال لهُ الدبيسي ابن مزيد وكان من صناديد الابطال وشجعان الرجال لا يقدر العواقب ولا يخشى حلول المصائب . وكان في الشجاعة والفروسية في طبقة علية فكان يفتخر بنفسه على ابناء جنسه ويفضل ذاتهُ على جميع الفرسان . في ساحه الميدان ويقول انهُ اذا ركب متن الجواد . لا يوجد من يقاومهُ في الحرب والطراد . من الفرسان الشداد ولو كان ابو الفوارس عنتر ابن شداد . وكان لهُ اربعة وزراء يركن اليهم ويعتمد في اموره عليهم .

وهم مقلد وهمام . وراشد وسلام . وله ولد اسمهُ مزيد . قد سماه على اسم
جده . وكان يحبهُ ويوده . ومن شدة محبته فيه . اراد ان يزوجهِ بابنة
اخيه . فجمع وزراءه اليه واخبرهم بما قد صمم عليه فاجابوه الى ذلك المرام
ما عدا الوزير همام . فانه كان صاحب راي وتدبير . وفي امور الدنيا
عارف وخبير . فنهاه عن ذلك الامر في الوقت الحاضر . واعلمه بقدوم
بني هلال الى تلك البلاد بالجيوش والعساكر . ثم اشار يقول

يقول الفتى همام عما جرى له * ايا مير اسمع لي لتذيذ كلام
الا يا دبيسى انت سلطان البلاد * ولا لك مقاوم في القنا وحسام
بني هلال يا امير محلت ارضهم * وصاروا بهم زايد وضرام
ونشفت عيون الماء من كل جانب * ولا عاد فيهـــا عشب ولا نمام
ولا عاد فيها وحش سارح بالفلا * ولا عاد فيهـــا للجيوش مقام
لما راوا هذا البلاء بارضهم * جمع رايهم حسن الامير قوام
فارسل ابو زيد للغرب رادها * امير يوم الحرب قرم همام
وسار معه مرعي ويحيى ويونس * شباب ملاح وضاربين لثام
يريدوا لهم بلد تكون خصيبة * فيها الغنى والعز والانعام
وقد سار والمغرب يا امير وحدهم * الى تونس الخضرا غدون قوام
ودخلوا الى بستان بالقرب يا ملك * ابو زيد من سهر الليالي نام
اتي عبد الى عند الزناتي واخبره * فارسل لهم عشرين عبد تمام
فاحضروهم له بوقت قريب * فصاح عليهم في قبيح كلام
وحبس الفتى مرعي ويحيى ويونس * بقصر سعدى في عنا وسقام

وارسل ابوزيد يريد خلاصهم * من المال ثم الخيل والانعام
وقد اتى ابوزيد من الغرب وحده * واخبر حسن عما جرى له تمام
وقد ضربوا الاشوار يا امير بينهم * وساروا بفرسان لهم واقوام
ولا بد من ان يدوسوا بلادنا * وتبقى قصور العاليات هدام
وانتم تريدوا تزوجوا ثم تفرحوا * ولا عندكم اخبار ولا اعلام
انا الراي عندي اسمعوا ما اقول لكم * وكونوا لقولي يا كرام فهام
فاصبروا حتى يجوزوا بلادكم * ويندفعوا الى ديرة الاعجام
تكونوا سلمتم يا امير من العدى * وتعمل لابنك عرس عام تمام
اسال اله العرش ان يعيننا * ويعتقنا من جملة الاوهام

قال الراوي فلما فرغ الوزير هام. من هذا الشعر والنظام. اندهش الديسى وحار. فبينما هو في بحر الافتكار. اذ دخلت الرعيان عليه. وتمثلوا بين يديه. وشكوا له عن قدوم بني هلال. الى تلك الاطلال. وكيف ملاوا السهول والتلال. فلما سمع هذا الخطاب غاب عن الصواب. وصار في قلق واحتساب. فالتفت الى الوزراء. والكابر الامراء. وقال لهم ما هو رايكم ياقوم. فقد نفذ كلام الوزير هام في هذا اليوم. وانا خائف من العواقب فارشدوني برايكم الصائب فقالوا عن فرد لسان الراي عندنا يامالك الزمان ان نرسل رايد على اثارهم. فياتينا بعددهم ويكشف لنا حقيقة اخبارهم. فقال هذا هو الصواب والامر الذى لا يعاب. وفي الحال استدعى بعبد راشد. وكان صبورا على الاهوال والشدائد. سريع الحركات. خبير بجميع الطرقات. فلما دخل

عليه . وامتثل بين يديه . قال له الملك اريد منك ياعبد الخير . ان تذهب اسرع من الطير . وتجس لنا اخبار بني هلال . وتميز فرسانهم والابطال وتاينا بعاجل الحال . فقال العبد السمع والطاعة وسار من تلك الساعة

اعلان

قد تم بحوله تعالى طبع تغريبة بني هلال كاملة مقسمة الى اجزاء تابعة بعضها بعضاً وهي تحتوي على عشرين جزء ومن اراد الحصول عليها فليطلبها من مكتبتنا العمومية وفي دمشق الشام يطلب من السيد هاشم الكتبي والسيد محمد الحفني وفي حلب الشهباء يطلب من احمد افندي وهبي وفي مصر القاهرة يطلب من امين افندي هندية وكيل الجوائب وفي الاستانة العلية من ادارة الجوائب وفي عكا من الخواجا سليم حاويلا وفي القدس الشريف من متيا افندي ابو صوان . ويوجد ايضاً كتب مختلفة من جميع الاشكال دينية رعلمية وتاريخية وقصص وروايات من سائر الكتب المطبوعة في مطابع سورية ومطابع القسطنطينية والديار المصرية ويوجد ايضاً كتب تركيه وفرنساوية وانكليزية ومن كافة اللغات الافرنجية وتباع (باسعار متهاودة جداً) ولمكتبتنا قائمة خصوصية اسمها (الروضة البهية في اسماء كتب المكتبة العمومية) والذين في الجهات يرغبون مشترى بعض كتب من عندنا عليهم ان يرسلوا لنا الثمن طوابع بوسطة او قطعة بولصة على اي بوسطة كانت او على البنك العثماني فتصلهم الارسالية حالاً بكل حفظ وامان حسب عادة مكتبتنا مع الجميع في كل الجهات * كاتبه ابراهيم صادر واولاده في بيروت

مطبوعات جديدة

﴿ بمكتبتنا العمومية ﴾

منظومات الشيخ امين الجندي من الجزء الاول الى الخامس

كنز اللغة العثمانية وهو ترجمان تركي وعربي

قصة سليمان الحكيم

قصة حيفار

قصة ابي النواس

قصة الزير كاملة

مجموع قصص بني هلال

الاول قصة جابر وجبير

الـ٢ قصة الخضرا ام الامير ابوزيد

الـ٣ قصة شاوزهر البان

الـ٤ تابع قصة شاوزهر البان

الـ٥ قصة تسلطن حسن على العربان

الـ٦ قصة السلطان حسن

الـ٧ متوج اليماني وحربه مع بني هلال

الـ٨ قصة الملكة خرما وقتل الملك جراد ملك بلاد الهند

الـ٩ اول رحلة بني هلال من بلاد السرو الى بلاد نجد

الـ١٠ ثاني رحلة بني هلال الى بلاد نجد وقصة الهيدبى

الـ١١ قصة شكر الشريف وزواجه بنور بارق وهي الجازية

الـ١٢ قصة الحيصا

الـ١٣ قصة عليا والامير ابوزيد

الـ١٤ قصة الملك الديدبان وزين الدار ابنة الملك الغطريف

الـ١٥ قصة سعد الرجا

الـ١٦ قصة الست ريما

الى هنا انتهى طبع الجزء الاول من ثغريبة بني هلال ويليه الجزء الثاني